صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد الخامس



نوفمبر سنة ١٩٣٥

سير الحوادث

تسير الحرب التى شنتها ايطاليا على الحبشة سيرا بطيئا . والمقاومة التى يجدها الجيش الايطالى من الاحباش لايعتد بها كثيرا . وهذا هو ماينتظر من أمة تكاد تكون عزلاء لا تملك من آلات الحرب غير القديم البالى أزاء أمة تحارب بالغازات والطائرات والدبابات

ولكن أرض الحبشة بجبالها ووديانها وأمطارها وأنهارها تقاوم الاعتداء الايطالى مقاومة تذكر . وهي السبب لتأخر الزحف أو لبطئه . واذا فرضنا أن ايطاليا لن تجد من عصبة الامم مايمنعها من الزحف فانها — لطبيعة الارض — ستحتاج الى نحو ثلاث أو أربع سنوات لكى تستولى على الحبشة . وفى هذه الاثناء يكون الاحباش قد استوردوا من الاسلحة وتعلموا من الاختبارات مايجعلهم أهلا للمقاومة الجدية

ويوشك الايطاليون أن يستولوا على ما كالا عاصمة تيجرة فى الميدان الشمالى، وليس بعيدا ان أن يستولوا على هرر فى الميدان الجنوبى بعد أيام أو أسابيع . وبعد أسابيع أيضا ربما يتصل الجيش الشمالى بالجيش الجنوبي ويقطع السكة الحديدية التى تصل العاصمة بالبحر الاحمر . وعندئذ يتعذر على الاحباش أن يحصلوا على الذخائر الا من السودان وأوغندة وكينيا

وكلامنا هذا يوهم أننا متشائمون عن مصير الحرب فى الحبشة . ولكن لا . فاننا نعتقد أن طاليا ستنهزم فى رومة ولو انتصرت فى أديس أبابا

الجزاءات والعصبة

أجل ان قيادة الجنرال دوبونو تدل على تدبير محكم . والمتأمل لسير الجيش الايطالى يرى

أنه يتبع طريقة كتشنر فى السودان . وهي تأمين المواصلات والتأني وتفتيت العدو . وقد نجح الجنرال دوبونو فى اجتذاب الرأس جوجسه زوج بنت الامبراطور كما نجح فى ضم بعض الرؤوس . وشق طرقا عديدة وعبدها جميعها

ولكن السودان سهل مبسوط . أما الحبشة فجبال وعرة وبها حميات تفتك بالايطاليين أكثر مما تفتك الغازات السامة بالاحباش . واذن ستحتاج الحبشة الى سنوات قبل أن يهدم استقلالها

الجنرال دوبونو

ولكن ايطاليا ستنهزم كما قلنا فى رومة فان تكاليف الحرب كبيره لا تطيقها أمة فقيرة مثل ايطاليا . وقد انفقت الى الآن نحو ٢٠ مليون جنيه وأعلنت عن قرض أهلى سوف يذوب . وهذه الحرب ستحتاج الى السنين . فاذا أضفنا الى ذلك أن عصبة الامم ستسير بجد فى توقيع الجزاءات التى قررتها على ايطاليا عقابا لها على اعتدائها فان ايطاليا تجد نفسها في حصار اقتصادى يجعلها غير قادرة على بيع منتجاتها أو شراء المواد التى تحتاج اليها . وقد شرع فى تنفيذ الجزاءات ويبدو من المسلك الذى سلكته بريطانيا التى تتزعم حركة المقاطعة الاقتصادية لايطاليا ان هذه المقاطعة ستنجح أما فى وقف الحرب واما فى احداث ثورة تقضى على الفاشيه . ومنذ الاسبوع الاخير من اكتوبر شرع موسولينى يفاوض فى الصلح ولكنه لن ينال شيئا من الحبشة يصون له النعرة الفاشية

المحتملات

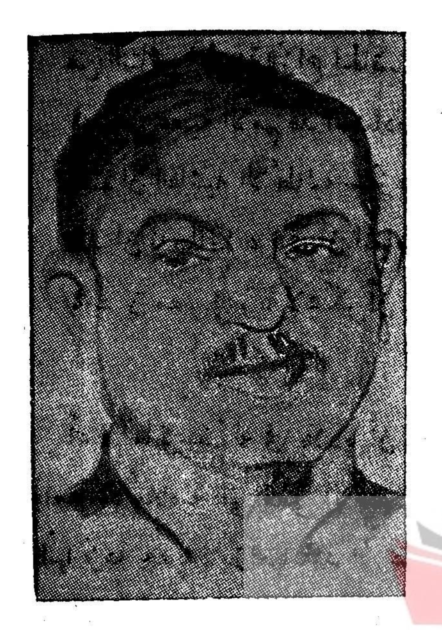
والمحتملات الحاضرة للنزاع الحاضر هى :

١ ـ أن تنجح الجزاءات فى هزيمة ايطاليا فتطلب صلحا متواضعا لا يؤذى الحبشة

٢ ـ ان يصر موسولينى على الحرب مع الضيق الذي تحدثه المقاطعة الاقتصادية فتهب الثورة ويقضى على الفاشية

٣ ـ أن تؤدى الثورة على الفاشية الى هبوب ثورة أخرى شيوعية

٤ ـ ربما تضطر بريطانيا الي الاصطدام بالاسطول الايطالي فتقضى عليه . وقد تعهدت فرنسا بمساعدتها وأعلن المسيو لافال رئيس الوزارة الفرنسية بعد تردد أنه مع الانجليز ضد ايطاليا


المسيو لافال

موقفنا فى الازمة

ليس شك انه اذا اصطدمت بريطانيا بايطاليا فى البحر المتوسط فاننا ينالنا شيء من مصائب القتال بينهما . فان المارشال بالبو حاكم طرابلس لم يعين عبثا قبل عامين أو ثلاثة لكى يتولى الحكم . وهو وزير الطيران السابق . وقد نبهنا الأذهان الي هذا الموضوع قبل عام


المارشال بالبو

وليس بعيدا أن نرى أسطولا من الطائرات الايطالية يضرب القاهرة بحجة انه يضرب القلعة أو ثكنة قصر النيل كما أن الخطر على الاسكندرية لايستهان به

ولكن الذى نسمعه من ولاة الامور سواء ا كان من الانجليز أو من المصريين أن الاستعداد لمكافحة الطائرات كبير وهو يكفل السلامة أو على الاقل منع الخسائر الفادحة فى المال أو الارواح

واعلان الحكومة البريطانية للانتخابات وحل البرلمان يدل علي انها تنوى ان تحصل من الامة علي توكيل للحرب اذا احتاج الامر الى ذلك . وهي لايمكن أن تفعل ذلك اذا لم تكن مطمئنة الي النصر واطمئنان الانجليز هو اطمئنان لنا أيضا

نتائج حسنة للنزاع

من النتائج الحسنة للنزاع الحاضر ، وهي نتائج قد تحقق بعضها أو هو فى سبيل التحقيق

١ ـ ان عصبة الامم قد استعادت كرامتها وقوتها وأثبتت انها حكومة عالمية فوق الحكومات

٢ ـ ان الفاشيه الايطاليه ستتزعزع وتعود الديمقراطيه الى سابق مكانتها أو قريبا منها

٣ ـ ان بريطانيا عرفت أن المعاهدة مع مصر بصفتها دولة قويه مفيدة لها ويجب التعجيل بها

٤ ـ ان مصر القوية لايمكن أن تحكم بلادستور ونعنى دستورا يؤمن فيه جانب الطغاة والاوباش

الروح الرجعى

أعظم مايؤسف له فى بلادنا أن روحا رجعيا سيئا يتسلط على الامة والحكومة معا . فان الجامعة الاسلامية التى قضى الاستاذ احمد لطفى السيد أحسن سنى عمره فى مكافحتها قد اخذت مكانها نزعة جديدة يتزعمها محمد على علوبة باشا تسمي الجامعة العربية . وفى هذا من البعثرة لقوانا والتشتيت لقوميتنا مايستحق التنبيه

وقد زاد سلطان الازهر فى السنين الاخيرة وكثر الاقبال على الثقافة العربية القديمة بروح الابتعاد عن الثقافة الحديثة . وهناك دعوة قوية قوامها اننا شرقيون يجب أن نكره الغربيين وأساليبهم فى سفور المرأة والحرية الشخصية وأن نلتزم تقاليد العرب ونندغم فى الامم العربية فلا تكون لنا شخصية مستقلة . وتنتهي هذه الدعوة الى كراهة الحضارة الحديثة كلها

والذين ينتفعون بهذه الدعوة هم الذين يحبون أن يروا مصر عزبة كبيرة تغل لهم المال ويستعبد فيها الرجال كما كانت أيام المماليك وكما أوشكت أن تكون أيام اسماعيل صدقى باشا

وازاء هذه الدعوة الا يجدر بنا أن ندرس النهضة التركية ونأخذ منها مايحول دون تسلط هؤلاء الرجعيين علينا . فلماذا مثلا لا نتخذ القبعة ولماذا لا نفكر فى درس الخط اللاتينى للغة العربية ؟

حياة نابليون

للاستاذ محمد سعيد لطفى

لأول مرة فى تاريخ المسيحية انتقل البابا من روما ليشهد تتويج ملك أو امبراطور . وهـذه المرة هى انتقال البابا بيوس السابع ليشهد فى باريس تتويج الامبراطور نابليون . ولأول مرة فى التاريخ تقدم امبراطور لتحية صاحب القداسة البابوية فلم يركع أمامه ولم يقبل يده ، وذلك مافعله نابليون عندما خرج يستقبل البابا خارج أسوار باريس . ولأول مرة لبس التاج صاحبه ولم يترك لأحد حتى للبابا حق الباسه التاج . ولكن جميع ذلك وقع فعلا فى ديسمبر سنة ١٨٠٤ ، ولما انتهت الأدعية والصلوات بارح نابليون كنيسة نوتردام وإلى يمينه الامبراطورة جوزفين ، يزين مفرقها التاج ويحيط بهما الفرسان ، والجموع تملأ الشوارع والطرقات ، وأصوات الهتاف تطبق الآفاق . وهذا التتويج وإن قضى على آمال الخصوم والأعداء فى داخلية البلاد ، فهو لم يطفىء من حنق أوربا وسخطها على الثورة ورجلها . وكيف تصبر وتتويج نابليون ماهو إلا تتويج للثورة ، والاعتراف به اعتراف بنتائجها . لذلك وقعت الحرب للمرة الثالثة بين نابليون وأوربا ، فانتصرت العمارة الانجليزية فى موقعة الطرف الأغر انتصاراً حاسماً . وقتل الأميرال نلسن ولكن بعد أن سحق الأسطول الفرنسى ومن سنة ١٨٠٥ إلى يومنا هذا وانجلترا تجنى ثمار هذا النصر . ولئن خسر نابليون أسـطوله فقد نال نصراً حاسماً براً ، إذ أخذ الجيش النمسوى على غرة فاستسلم له فى «أولم» ، ودخل نابليون فينا دخول الظافر فى نوفبر . وفى ٢ ديسمبر أى بعد تتويجه بعام كامل — وإن شئت فقل فى عيد تتويجه — هزم الجيوش الثلاثة فى موقعة «أوسترلتز» الشهيرة عندئذ اعترف العالم له بما شاء ، وأمضيت المعاهدة التى أملاها . ودعا ليلتها قيصر الروس وامبراطور النمسـا وقيصر المانيا لتناول العشـاء على مائدته الامبراطورية . فلبوا الدعوة وتعانقوا كعادة الملوك فى هذه المواقف . وسـأله قيصر الروس



نابليون

— وقد كان من المعجبين بشخصيته — أن يشرح لهم تفاصيل الموقعة ، فلما شرحها على النحو الذى يقتضيه المقام قال له القيصر : « إنما أنت الامبراطور القائد حقاً أما نحن فتحت رحمة قوادنا »

بعد هذا النصر المبين أصبح نابليون سيد أوربا المطاع ، فقسم الفضل على أخوته ، وجعل من ايطاليا وجنوب المانيا ممالك تابعة لفرنسا ولم يصد إلا عن أخيه « لوسيان » . ولم تجد حتى توسلات الوالدة مع مالها فى نفس ولدها العظيم من محبة واحترام . وهى سيدة فاضلة حقاً لم تبهرها أبهة الملك وقد صارت أما لأربعة ملوك


ونابليون

دعيت لحضور حفلة التتويج فسافرت من روما قاصدة باريس ، ولكنها سارت متباطئة فوصلت متأخرة ، وكانت طول الطريق تتبع الأخبار وتقرأ الصحف وتقول لاخصائها : «حسن هذا لو يدوم» وكانت مقتصدة تدخر الشطر الأكبر من مرتبها السنوي الكبير وقدره مليون فرنك

فلما ذهبت الأعاصير بولدها ورمته فى جزيرة « إلبا » أعطته الأم كل ماادخرته قائلة : « هو منه واليه »

وكان نابليون يذكرها كثيراً فيقول : «وجهى وجهها وجبهتى جبهتها وهى امرأة كريمة جديرة بكل تمجيد» وكان يذكر أباه ويتحدث عنه . ومما يروى أنه ساعة التتويج وقد اشرأبت اليه الأعناق أومأ لأخيه يوسف أن يقترب منه فهمس فى أذنه . « ليت الوالد كان معنا فينظر ماصرنا اليه »

وزارته أخته صاحبة شاكية من حرمانها وقلة حظوتها فقال لها . « يقول من يسمعك إننى نهبت ثروة الوالد وحرمتك نصيبك فى التركة »خفض نابليون جناح العطف لأهله فكان بهم باراً وعليهم رءوفا . وكان محباً للامبراطورة مع تباين أخلاقهما وتنافر مزاجيهما ، فهو رجل يحب بساطة العيش وهى سيدة تحب الترف حباً جماً . فقد كان لديها ٧٠٠ فستان و ٢٥٠ قبعة ومجوهرات تبهر الأبصار يدفع الامبراطور الثمن متأففاً وهو يقول . « هى شريكتى فى مجدى هى كبيرة فى السن هى مسكينة لم تلد لنابوليون ولداً »

بلغ نابليون قمة المجد فى أوسترلتز حاربته المانيا بعد ذلك فهزمها ودخل برلين ظافرا كما دخل

فينا من قبل وكما سيدخلها للمرة الثانية فى سنة ١٨٠٩ ولم يبق أمامه مايشغله إلا الولد فضحى بجوزفين وطلقها وتزوج من أميرة نمسوية هى مارى لويز

وهنا نقف قليلا لأن نابليون أراد مصاهرة قيصر الروس والتحالف معه ولكن القيصر تردد فى تزويج أخته من رجل مهما عظم فهو حديث النعمة ، من امبراطور كان زعيم الثورة وقائد جيوشها

والثورة الفرنسية ثورة على كل قديم ولم تقصر مبادئها على الفرنسيين ، بل كانت تنادى بحق الانسان اينما كان وتحارب لبث هذه المبادىء وترويج هذه الافكار . حقا ان الاسباب التى قامت لها الثورة كان أقلها الغضب من ظلم تفشى فى فروع الحكومة جميعا ، وقسوة فى تحصيل الضرائب المتعددة ألبست الناس لباس الجوع والخوف ، واستبد الاشراف ورجال الكنيسة فوضعوا ايديهم على كل مكان خصب حتى جف الزرع والضرع وأزهقت الانفاس . ولكن الثوار لم يتركوا أيضا ذنبا الا اقترفوه ، ولا اثما الا ارتكبوه ، من قتل وتحريق وتخريب وتدمير . حتى ضج العالم وساء المصير . حسنت المبادىء واتخذ لتحقيقها أقسى ماعرف من اجراآت ومجازر « الجيوتين » المقصلة المعروفة لدى الجميع . قال المسيو كايو وقد اتهم بعد الحرب العظمى بتهمة الخيانة العظمى : « ان دانتون هو جدى لامى وقد حكم عليه بالاعدام ظلما فلا تقتلوا أنتم احد أبنائه ظلما » وذكر السير ارثر يونج وقد كان يتجول فى فرنسا فى وقت الثورة انه حضر فى فندق من الفنادق ببعض القرى اجتماعا للجنة الثورة وسمعهم يقررون احراق قصر . فقال لهم : « لماذا تحرقونه ؟ اجعلوه مدرسة او مستشفى . أما الحرق والتخريب فاجرام فى اجرام وخسارة لاتعوض» فقال قائلهم :«لحق ما تقول لو عشنا بالمنطق ، ولكن فى سجن هذا القصر كان مثوانا . والى مخازن هذا القصر حملت رزاقنا ظلما وعدوانا ، وجرى فيه كيت كيت فلا بد من احراقه »

وفعلا احرقوه

فاذا تردد قيصر الروس فى مصاهرة نابليون فلا بد أن هذه الذكريات وغيرها قد مرت بخاطره فنسى اعجابه بكفاءة القائد وعبقريته وضن باخته على الامبراطور . فأسرها نابليون فى نفسه وساءت العلائق شيئا فشيئا حتى وقعت الحرب بينهما فكانت غزوة غير موفقة عاد منها كما وصفه هيجو . « للمرة الأولى يخفض النسر رأسه »

نعود الى ما كان من نتيجة زواج نابليون أن مجرد ظهور علامات الحمل هزت فرنسا طربا وتليت الأدعية فى الكنائس لكى يهب الله صاحبي الجلالة غلاما ذكراً يكون وارثا للعرش وبعث مترنيخ لبلاط فينا يقول : ان دلائل البشر والسرور بادية على محيا الامبراطور وسهر ليلة الوضع كلها فلما أخبره الطبيب بتعسر الولادة قال له « أنقذ الأم وقم بواجبك نحوها كما تصنع مع أي امرأة تسهر

على ولادتها » . ولحسن الحظ ولد المولود ولم تصب الأم بسوء ، وأطلقت المدافع فترددت الجماهير حتى سمعوا الطلقة الثانية والعشرين ثم الثالثة والعشرين فعلموا أن المولود هو ولى العهد ، فابتهجت باريس أبتهاجا وهتفت هتافا حاراً ورقص الناس طربا . شاهد نابليون كل ذلك من خلف الستار من نافذة قصره فسقطت من عينيه دمعتان هما دمعتا الفرح الذي من فرط ماقد سره أبكاه !

لم يكن نابليون فظ القلب ولا جافى الطبع ، وانما كان رجلا متواضعاً منحه الله ذكاء مفرطا وذاكرة واعية وبصرا بالأمور . كان كثير العمل يشتغل فى اليوم ١٨ ساعة وكان يملى فى سرير نومه ولم يكن مفتونا باللذائذ ولا شغوفا بها . وكان إذا تحدث عن ماضيه قال الصدق . وكان كثير السؤال والاستفسار يستمع للمعارضين ويتناقش مع ضباطه الكبار والصغار وكان ملماً باعمال الدولة ومصالح الحكومة وكان يقدر وقوع الفشل والهزيمة فى كل موقعة ويحتاط لذلك كل الاحتياط وكان يعطف على زملائه فى المدرسة وأصدقائه فى أيام الضيق وقبل أن تشرق شمس علاه كان رجلا عاديا مع الرجال العاديين ماكرا مع الماكرين متكبرا على المتكبرين يحلو له مقابلة التيه بالتيه

لم يكن نابليون من دم فرنسى صميم بل هو كورسيكى دما وأصلا ولكنه خدم فرنسا وأنقذ فرنسا وأصلح فرنسا فاحبته فرنسا وأحبها . قرأت فى جرائد الشهر الماضى أن الحكومة الفرنسية أرسلت بعثة لاصلاح المنزل الذى كان يقيم فيه فى منفاه كأن نابليون وقد صار خالدا يجب أن يصير كل ما التصق باسمه خالداً أيضا

مات نابليون سنة ١٨٢١ وترك وصية طويلة أملاها وهو فى سريره نجتزىء منها مايأتى

« يجب على ولدى أن لايتأثر لوفاتى وله أن ينتفع بظروفها وليكن الملك مطمعه ولكن بطريق السلم وإذا ماخاض الحروب لغير سبب إلا اقتداء بماضى أبيه فان شأنه والحالة هذه شأن القردة المقلدين ، وليعلم أن محاولته إعادة الماضى معناه أننى لم أكن قد عملت شيئا لأن الشيء لايعاد مرتين فى قرن واحد

« اننى اكرهت على خوض المعارك لأحقق غرضى . ولكننى أنصح لولدى أن يكون سلاحه الاقناع ولقد خلفت له فى فرنسا وخارجها من الأفكار ماسيؤتى ثمره وما عليه إلا اقتطاف هذا الثمر

« أرجح أن الانجليز قد يميلون إلى محو ماسجله اضطهادهم لى فيعينون ولدى فاذا صح ذلك فاعلم انهم قوم لك أن تختار معهم إحدى حالتين إما الحرب أو التجارة والثانية أفضل لك »

ثم قال « على ولدى أن لايقبل التاج إذا كان للاجانب شأن فيه . خذ الملك لاطمعا فيه ولكن لتنال إعجاب الأجيال القادمة وحسن تقديرهم »

وآخر وصاياه هى رغبته فى أن ينقل رفاته ويدفن على شاطىء السين بين قوم أحبوه وأحبهم .

الامبراطور هيلا سلاسى

ظهر فى طليعة رجال العالم اسم الامبراطور هيلا سلاسى امبراطور الحبشة الحالى ، فهو قائد الجيوش الحبشية ، وموقد الحماسة ، وقد صرح بانه لن يقبل أية حماية أو انتداب أو وصاية أوأي اتفاق أو قرار يمس استقلال الحبشة ، وانه مستعد فقط للاتفاقات الاقتصادية ، وهو يجتمع بشعبه وبمراسلى الصحف ويدلى بالتصريحات ، ويعمل ليل نهار .

وقد وصف الأستاذ كامل صمويل مسيحة هذا الامبراطور فقال :

كتب الامبراطور منليك مرة الى الدول الاوربية يقول :

« ان الله ، القادر على كل شىء ، هو الذى حمى بلاد الحبشة حتى الآن :

وإنى متؤكد كل التأكيد بأنه سيظل يحميها فى المستقبل »

هذا ما قاله الامبراطور منليك فى بداية هذا القرن . واليوم يردد ابن أخيه ،ووريثه الشرعى، العبارات عينها ، وبالأسلوب نفسه وفى اللغة الفرنسية عينها فيكتب لجامعة الامم يقول :

فى تاريخ الحبشة مايزيدنى ثقة وإيمانا فى القدرة الآلهية على حماية الحبشة

وقد يكون من الطريف أن تعلم الالقاب التى يحملها الجالس على عرش الحبشة مع حظها الضئيل من الحضارة والرقى .. صاحب الجلالة الامبراطورية ملك الملوك .. الاسد الظافر من سبط يهودا .. ألامبراطور العظيم المنحدر مباشرة من سلالة ملكة سبأ وبيت داود !

* * * *

ولد الرأس طفري عام ١٨٩١ وهو ابن الرأس ماكونن الذى كان حاكما على هرر أغنى أقاليم الحبشة بلا جدال ، والذى كان يملك الاراضى الشاسعة الغنية بمعادنها وحاصلاتها .

وتلقى علومه على النمط الاوربى على يد رهبان فرنسيين يقيمون فى هرر فتثقف تثقيفا عاليا فهو يقرأ الفرنسية ويتكلمها بطلاقة ، ولا يمل من دراسة تاريخ بلاده وأدبها وعلى اتصال بالحركتين الادبية والعلمية فى أوربا

وعناية الرأس طفرى بالآداب شديدة وقد لازمته حتى بعد تركه للرهبان الفرنسيين .

وقد أسس فى أديس أبابا ، عاصمة بلاد الحبشة الجديدة مطبعة تتولى طبع المؤلفات الاكليركية الحبشية القديمة طبعا متقنا منقحا

وهو فضلا عن هذا يحب التأليف فهو واضع مقدمة كتاب لكريسوستوم ، وهو عبارة عن

مجموعة عظات وتحذيرات القصد منها الاصلاح والحض على الاستقامة .

ووقعت الاضطرابات الداخلية عام ١٩١٦ بسبب اتصال « ليج ياسو » بتركيا فعين الرأس تفرى نائبا لعمته الامبراطورة زوديتو فأظهر نشاطا عظيما .

واضطر عام ١٩٢١ للسير على رأس جيش مؤلف من عشرة آلاف مقاتل فقبض على « ليج ياسو » وفى عام ١٩٢٣ ألقى الرعب فى قلوب مواطنيه المحافظين على القديم بزيارته الرسمية لعدن وصعوده لأول مرة بالطيارة إلى طبقات الجو العالية

ولما كان الرأس طفري ايديا ليست — العائش فى عالم الخيال والاحلام — فقد ساعد على انضمام بلاده إلى جامعة الأمم

وزار فى عام ١٩٢٤ روما ، وباريس ولندن ، زيارات رسمية للاتصال بالعالم الخارجى .

ثم خلف الامبراطورة .. زوديتو . واعتلى العرش عام ١٩٣٠ واتخذ لنفسه منذ ذلك الوقت اسم « هيلا سلاسى »

والامبراطور طفرى مطلع على السياسة الغربية واقف على سير المخترعات الحديثة شغوف بها الى حد بعيد

وان الانسان لتأخذه الدهشة اذ يرى التباين العظيم بين رجل يقبل على شراء سيارات رولزوريس فى الوقت الذى يستعمل رجاله القوس والرمح وبين أمة تنضم الى جامعة الامم فى الوقت الذى تسمح فيه بفظائع الرق ؟!

ومع هذا فقد بذل الامبراطور طفرى جهودا جبارة لتحسين حالة بلاده فهو وان لم يكن قد أدى الخدمات التى أداها الامبراطور منليك بعده الا انه يعمل بجد وهمة .

وإنه من الانصاف أن نذكر أن شعبه يعيقه عن الاخذ بأسباب الحضارة الاوربية ذلك لان من طبيعة الحبشى أن يفكر سنوات قبل أن يعمل عملا يتطلب أسابيع . فهذا التأجيل هو السر فى انحطاط الحبشة إلى هذا الحد ، ولكن من الانصاف أيضا أن نذكر أنه فى الوقت الذي يبدأ فيه الحبشى فى العمل يفعل فى أسابيع مايفعله سواه فى سنين وقد ثبتت هذه الحقيقة مؤخرا وشهدت بها السلطات الحربية العليا فى أوروبا

كان منليك أول من أدخل التلغرافات إلى الحبشة منذ ٤٠ سنة

ثم جاء هيلاسلاسى من بعده فأدخل التليفون . والسيارة . من نوع رولزرويس دفعة واحدة وعلى هذا فان الاجنبي لايستطيع أن يتحدث عن الحبشة أو يكتب عن الحبشة دون أن يذكر هذه السيارات الفخمه

وأدخل هيلاسلاسى أيضا الكهرباء والطيارات . ومدافع الحصار . والدبابات . والمدافع الرشاشة

ونظم الجيش وجاء بالضباط الاختصاصيين فى تنظيم الجيوش من البلجيك والسويد بحجة أنهم من رعايا الدول « المحايدة » التى يثق بها

والطرق الموجودة فى الحبشة الآن صالحة إلى حد . ولكن نظام التلغرافات مايزال فى حاجة ماسة إلى تحسين فان الاسلاك ثقيلة . وفى بعض الاحايين تعلق على الاشجار . ولهذا فانها معرضة كثيرا للسقوط. وهذه الاسلاك معلقة على قضبان يأ كلها النمل الابيض فتسقط . ولكن بجانب هذا تجد المخاطبات اللاسلكية بين أطراف الحبشة . وبين أديس أبابا وكل أنحاء العالم

* * *

والتجارة وان كانت لاتزال ضئيلة الشأن إلا أنها سائرة سيرا حثيثا فى طريق التقدم

* * *

حدث منذ عهد قريب أن سافر أمير حبشى إلى اليابان فى مهمة شبه دبلوماتيكية وبينما هو هناك تعلق بحب ابنة أحد نبلاء اليابان وأراد أن يقترن بها ففشل ولكنه نجح فى عقد اتفاقية تجارية فاستطاع هذا الحبشى أن يقدم للنبيل اليابانى امتيازا لاستغلال مليونى فدان من الاراضى الصالحة لزراعة القطن . . قدمها صفقة رابحة لهذا النبيل اليابانى السعيد الحظ

وفى الحقيقة أن عمل الامبراطور هذا لايعد غريبا منه فانه يرتاب أشد الريبة فى الدول الاوربية التى لها مصالح فى الحبشة والتى تملك بعض مستعمرات قريبة منه فلا يريد التقرب منها سواء أ كانت تأتى اليه بالقروض والهدايا أم لاتحمل اليه شيئا فى الوقت الذى يرحب بصداقة الدول التى يقول أنها بعيدة عنه كالولايات المتحدة واليابان فيسعى إلى خطب ودها يمنحها الامتيازات التى لاتكاد تعقل

كلما انتابته الملمات ووقع فى الضيق والمحن

حياة الامبراطور كلها إنما هى عبارة عن ظفر العقل على المادة . . الرجل مستقيم فى كلامه بسيط فى معيشته . . بشوش مجامل . . ضئيل الجسم يقرب لون بشرته من لون العاج . . سامى فى تقاطيع وجهه وملامحه لايعرف غير العمل المتواصل المضنى فهو يكب على عمله من الصباح الباكر الى ساعة متأخرة من الليل . . شديد الشغف بالقراءة والاطلاع على المؤلفات العلمية وعلى الأخص العملية منها . .

جمع فى قصره أحدث المخترعات

اللاسلكى . . السينما . . الضوء الكهربائى . . بل رئيس مطبخ أوربى !

وتجد ضمن حدود قصره لباقة عصرية تمد المؤسسات الاوربية بما تحتاج اليه من البان . . وزبدة . . وجبن

ولكنك تجد خارج قصره مظاهر الوحشية فهناك تجد الوعماء الذين مايزالون يعيشون على

النمط الاقطاعي . ولا يخضعون إلا لقوانينهم التي تعارض قوانين الامبراطور وأحكامه . أمثال الرأس هيلو الذى هجم مرة على أديس أبابا مع ألوف من أتباعه للاستيلاء على العرش

والامبراطور طفري سياسي مشهود له بالحذق والمهارة . لم يقع فى الاخطاء التى وقع فيها أمان الله الذى حاول أن يرغم الشعب على قبول الاصلاحات العصرية التى كان يريد أن يدخلها عنوه واقتدارا دون أن يهيىء العقول لها . ولهذا فانه لم يلاق المصير الذي لاقاه أمان الله

وليس أدل على دهائه من أنه عند زيارته لاوروبا عام ١٩٢٤ جمع كل الزعماء الذين ينتظر أن يحدثوا القلاقل فى أثناء تغيبه عن البلاد ، وحملهم معه . وتكاليف هذا « الحمل » ولاشك ونفقات نقله أقل بكثير من نفقات اخضاعهم اذا عمدوا الى الثورة فى غيابه

والامبراطور دبلوماتيكى يستخدم الاساليب الدبلوماتيكية كلماوجداية مناسبة لاستخدامها . ويستعمل السياسة والحكمة فى مفاوضاته مع كنائس الشرق الادنى التى تنافس كنيسته . وقد استطاع أن يحصل من بطريرك القدس الارثوذكسى على حق بناء كنيسة بالقرب من القديس ابراهيم فتحققت أمنية طالما تمنتها الكنيسة الحبشية الاصلية

ولكن مع هذا فالدبلوماسية لا تفيده كثيرا كما أن سياسة الشدة لا تنفعه كثيرا وكان آخر ملك مطلق فى العالم اليوم بعد أن قضى على الملكية المطلقة فى سيام ولا يمكنه أن يحافظ على سلطته المطلقة إلا بقدر ما تساعده العوامل الجغرافية وطبيعة الشعب الحبشى . هذا الشعب الواثق من مقدرته الحربية ثقة لا حد لها وإلا لو كان فى وسع هذا الملك المطلق أن يفعل ما يريد لكان قد استطاع أن يقضى على تجارة الرقيق فينقذ بلاده من سمعتها الشائنة فى نظر الغربيين والشرقيين وعلى الأخص وهو يعلم قبل سواه أن بلاده أول مملكة اعتنقت المسيحية ! . . .

***

هذا وقد قضى هيلا سلاسى سنى حداثته فى بلاط أديس أبابا تحت اشراف النجاشى منليك وكان زميلا فى الدراسة لحفيد منليك الليج ياسو باشراف حنا صليب بك مدير معارف الحبشة وناظر مدرستها . ثم عين حاكما لولاية سيدامو . ثم لهرر وكان الرأس (تفرى) يخشى اللدج ياسو ودبر مؤامرة ضده انتهت بخلع ياسو فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٦ وبتعيين الاميرة أوزير زوديتو امبراطورة والرأس تفري نائبا لها ومنفذا لاوامرها وقامت ثورة فى أديس أبابا سنة ١٩٢٧ ضد الرأس تفري فقمعها

وتحمس الشبان للرأس تفرى وتظاهروا طالبين تعيينه امبراطوراً . فعين ولياً للعهد على أن اشياع زوديتو كانوا يبيتون له مؤامرة فقاد الرأس جوكسا أوليه زوج زوديتو ثورة ونشبت موقعة

وقيل أنها ماتت مسمومة . « زربيت » قتل فيها جوكسا . وبعد يومين ماتت زوديتو فنـ دى بهيلا سلاسى امبراطوراً

ويقول الأستاذ أنيس داود أنه لم يكد يتولى الحكم حتى اهتم بانشاء جيش قوي كامل العدة والسلاح وأقام له فرقة من الحرس انتخب من أفرادها من أقوى شبان الأحباش وعزل بعض حكام المقاطعات الذين كان يشك فى ولائهم له . وعين بدلا منهم من أهله ومن الموالين له . وغضب على الرأس كاسا حينما توهم أن له يداً فى هرب اللدج ياسو الذي كان فى حراسته . ولكنه عاد فصالحه . واتهم الرأس هيلو أمير قوجام بمؤازرة اللدج ياسو وحكم عليه بالاعدام ثم عفا عنه واستبدل الحكم بالأشغال الشاقة إجابة لطلب نيافة الانبا كيرلس مطران الحبشة . وشطر مقاطعة التجرة شطرين ترك أحدهما للرأس سيوم حفيد الملك يوحنا كاسا أمير المقاطعة الشرعى وعين لحكم الشطر الثانى الدجاز سلاسى العدو الألد للرأس سيوم وانتزع اقليم سيدمام من الدجاز « بورون » وزير الحربية وأبعده الى مقاطعة العروسى . وعزل الدجاز هبتا ميكائيل حاكم مقاطعة « ليمو »

ولما مات الأنبا متاؤوس مطران الحبشة لم يرض أن يعين مطراناً حبشياً كما كان حزب الشبيبة الحبشية يريد . بل أصر على وجوب مراعاة التقاليد القديمة وتعيين مطران قبطى بشرط أن يعين معه خمسة أساقفة من الأحباش حتى لا تكون السلطة الدينية فى يد المطران القبطى وحده وبهذه لوسيلة يتقى تدخل رؤساء الدين فى شؤون المملكة وبسط نفوذهم عليها كما كان فى الزمن الماضى

وهذه السياسة كلفت الامبراطور نفقات طائلة ناءت بها ميزانية الدولة فضلا عن الأموال التى أنفقتها على حفلة تتويجه . وعلى شراء الأسلحة الحديثة من كل نوع والذخائر . وعلى البعثات العسكرية التى استقدمها من الخارج لتدريب الجيش

وقد كانت البلاد قبل أعتلائه العرش يحكمها زعماء ورؤوس من الشيوخ المحافظين على التقاليد القديمة . ولكن الامبراطور هيلا سلاسى أثار الحماسة فى قلوب الشبيبة الحبشيه . وقد دفعهم للمطالبة أن يكون لبلادهم ميناء على البحر الأحمر وبينما هو يطأطىء رأسه خضوعا للكنيسة القبطية فانه فى الوقت ذاته ينادي بوجوب العطف على الدول الاسلامية وشد أزرها ومناصرتها . ويعمل بنشاط فى التقرب بين العنصرين المسيحى والاسلامى . وفى يده الآن مستقبل بلاده . فان أصر على الاحتفاظ بالاستقلال وعدم التفريط فى شيء من حقوق بلاده فان الرؤوس والزعماء الذين يضمرون له الحقد لن يجدوا حجة لاثارة الشعب عليه . أما إذا تهاون ورضى التسليم بما تريده الدول من منح بعض امتيازات سياسية واقتصادية للدول الاستعمارية فان الحرب الأهلية لا بد أن يندلع لسانها فتكون عاقبتها أشق من عاقبة الحرب الخارجية

ذو الفكرة الواحدة

أنظر الى أثر الحضارة انها   سحر الخصوبة فى اليباب الممحل
(جوع الفقير جناية المتمول)

والأرض بالعمران تزخر مثلما   زخر العباب بمائه المتسلسل
(جوع الفقير جناية المتمول)

وترى المدائن والقصور كأنها   للخلد ليس لها الردى بموجل
(جوع الفقير جناية المتمول)

جعل الممول للسواد من الورى   رزقاً لهم فى الأرض أو فى المعمل
(جوع الفقير جناية المتمول)

فرص لكل مدبر ومفكر   كثر وكل مغامر لا يأتلى
(جوع الفقير جناية المتمول)

إن خاب ذو سعى حصيف كم فتى   بالسعى أثرى بعد فقر أول
(جوع الفقير جناية المتمول)

حتم على العدد الكثير الفقر لا   يرجى الثراء لكل من لم يكسل
(جوع الفقير جناية المتمول)

والفقر لولا حفزه ركد الورى   إن لم تخف غول المهالك تهمل
(جوع الفقير جناية المتمول)

عبد الرحمن شكرى

الغازات السامة

للدكتور عبدالوهاب الوكيل

يمكن تقسيم الغازات السامة المعروفة الى الآن الى أربعة أنواع حسب مفعولها فى الانسان :

(١) غازات خانقة

(٢) غازات مهيجة للأنف

(٣) غازات مسيلة للدموع

(٤) غازات كاوية أو حراقة

ويجب أن نعلم مبدئيا أن هذه الأنواع لا تصل جميعا الى الارض بشكل غاز ، بل أن بعضها يلقى من الجو بشكل سائل أو مادة صلبة ومن ثم تتبخر رويدا رويدا الى غاز . وأن هذه الانواع السائلة أو الصلبة كالغازات الكاوية والمسيلة للدموع ، يظل خطرها قائما ساعات طوالا بل أياما . بعد الهجوم الجوى . ولكنها لحسن الحظ أقل خطرا على الحياة من الغازات الخانقة وإن كانت هذه وكذلك الغازات المهيجة للأنف أسرع تبددا بفعل الرياح عند هبوطها ، إذ تحملها كسحاب منتشر مخففة تكاثفها تدريجيا حتى تفرقها شذر مذر

١ — الغازات الخانقة : أهم هذه الغازات وأكثرها استعمالا فى الحرب نوعان ، هما غاز الكلور وغاز الفوسجين وكلاهما يسبب الموت إذا استنشق الانسان منه مقدارا كافيا ، بل هما أخطر غازات الحرب قاطبة

أما الكلور فهو من العناصر الكيمائية المعروفة ، لونه أصفر ضارب الى الخضرة ، ورائحته خانقة كريهة . وهو فى الاحوال الجوية المعتادة غاز كغيره من الغازات ، ولكنه يعرض صناعيا بضغط مرتفع فينقلب الى سائل أقل حجما من الغاز . ويخزن بهذه الصفة فى اسطوانات أو قنابل اذا فتحت صماماتها أو انفجرت تصاعدت منها فى الجو أبخرة كثيفة من الكلور بشكله الغازي المعتاد

وللكلور تأثير مهيج شديد . فيسبب حرقانا شديدا بالعينين والأنف والحلق . ويدخل فى الجهاز التنفسى فيسبب التهابا فى القصبة الهوائية وفروعها بل فى حويصلات الهواء فى الرئة ذاتها ، أى ينتج منه التهاب شعبي رئوى خطير سرعان ما يودي بحياة الانسان

ومن سخرية القدر أو العلم ان هذا الغاز الخانق القتال ، الذى يستعمله الانسان للفتك بعدوه

الانسان قد أمكن من سبب تذليله لفائدة البشرية عامة إذ أنه مطهر قوى لمياه الشرب . فكمية طفيفة منه لا تتجاوز جزءا من واحد فى المليون تكفى لقتل الميكروبات الضارة فى الماء كالتيفود والكوليرا والدوسنطاريا وسواها فى وقت قصير . وربما لا يعلم الكثيرون أن سكان المدن فى مصر وسواها من الممالك يشربون شيئا منه فيما يتناولونه من الماء وان اسطوانات الكلور وأجهزته تؤدي ليل نهار هذا الواجب الصحى العظيم فى عمليات المياه بالقاهرة والجيزة واسكندرية وسواها

أما الفوسجين فهو كلورور أو أوكسيد الكربون وهو فى الاحوال الطبيعية غاز لا لون له . وان يأخذ أحيانا شكل سحابة بيضاء اللون إذا كان الجو حوله رطبا ، وإذا عرض هذا الغاز للتبريد فانه يتحول كذلك الى سائل ، ويخزن كأخيه بهذه الصفة



أحد الغازات وهو ساقط من الجو

أما رائحته فمهيجة للصدر . بل انه كذلك يهيج العين فتسيل دموعها . واستنشاقه يؤدى الى التهاب حويصلات الرئة التهابا شديدا مع ارتشاح فيها أكثر مما يفعل الكلور . فتمتلىء الحويصلات بدلا من الهواء بالبلغم والسائل الناتج من التهابها . ويعوق ذلك وصول أوكسجين الهواء الى الدم أى يريك وظيفة التنفس كلها . فيصير مستنشقه من الفناء قاب قوسين بل أدنى

وعند حدوث إغارة حربية بأحد هذين الغازين يكون أول ما ينتاب الانسان هو شعور باختناق مع سعال شـديد ، قد يصحبه تهوع أو قيء . كما تهيج العينان . فاذا لم يسرع المرء بالهرب الى مكان مأمون أو الى وضع الكمامة الواقية ، واستمر مدة فى استنشاق الهواء الملوث بهما ، تلفت الرئتان أى تلف ، فيصير التنفس عسيرا . مصحوبا بنوبات مؤلمة من السعال قد يبصق فيها المصاب سائلا غزيرا . ويتغير لون الانسان لقلة وصول الأوكسجين الى دمه ، فاما يصير الوجه محتقنا أزرق ، أو اصفر المحيا ، باهت الاطراف ، أبيض الشفتين والأذنين وهذا اللون الأخير أكثر دلالة على استفحال الأمر وشدة الخطر على الحياة

ولا تظهر هذه الأعراض الرئوية فى الحال بل بعد مدة لا تتجاوز ١٢ — ٢٤ ساعة من استنشاق الغاز الخانق . أما إذا مضت ٢٤ — ٤٨ ساعة بدون ظهورها أو اشتدادها كان للانسان أن يحسب نفسه من عداد الناجين بجلدهم

ويجدر أن نعلم أن قيام الانسان بحركة أو عمل بعد استنشاق الفوسجين بصفة خاصة يجعل الاعراض أشد وأمضى أثراً أي إن ذلك يقرب المسافة الى القبر . ولذا يجب السكون والراحة يوما كاملا أو يومين بعد استنشاقهما

٢ — الغازات المهيجة للأنف : يشمل هذا النوع عدداً كبيراً من الغازات المركبة التى اخترعتها أدمغة جهابذة الكيمائيين وهى غازات يدخل الزرنيخ فى تركيبها ومنها مثلا ثانى فينيل كلور أرسين يسمى (A . D) اختصاراً . وتنتشر هذه الغازات فى الجو عند القاء قنابلها بشكل ذرات متناهية فى الصغر بحيث قد لا تراها العين . ويشعر المستنشق لها بتهيج فى الأنف والحلق يصحبه العطش أحيانا . وآلام فى لثة الاسنان ويزداد التهيج فى هذه المواضع ويمتد الى المجارى الهوائية كالحنجرة والقصبة الهوائية ، فيسبب ذلك ألما شديداً وضيقا فى الصدر مع سعال وقيء أحيانا وصداع شديد بحيث تضيق الدنيا بالانسان ويود لو يفارقها فيستريح من تباريح آلامه

ولـكن هذا النوع من الغازات هو لحسن الحظ حميد النتائج لا يسبب الموت أو التهاب الرئتين كالغازات الخانقة وأنه هو سبب الآلام المضنية والضيق الشديد أما من الوجهة الحربية فيقصد من استعمالها (وكذلك الغازات المسيلة للدموع) أن تؤذى الانسان بصفة مؤقتة فيصير غير صالح للكر والفر فى الهجوم والدفاع إذا كان جنديا فى الميدان ، أو تدخل فى قلبه الرعب والجزع والاضطراب إذا كان من غير المحاربين

٣ — الغازات المسيلة للدموع . وهى كثيرة وأهمها ثلاثة (أولها) المسمى « كلوروأسيتوفينون » ويرمز له بحرف (C. E. P) وهو مادة صلبة بيضاء اللون ، تتبخر بفعل الحرارة الجوية . ويسبب البخار المتصاعد منها تهيجا شديدا فى العين ، فتسيل دموعها مدرارا . بل ان هذا البخار

اذا تكاثف فى مكان ما يسبب تهيجا لجلد الوجه واليدين أى الاجزاء العارية من الجسم

(وثانيها) مايسمى « أثيل يودواسيتات » ويرمز له بحروف (K . S . K) وهو مركب سائل ، قوامه كالزيت أو الجلسرين ، وله رائحة نفاذة ، ولا لون له إذا كان نقيا ولكن استعماله فى الحرب لايقتضى ان يكون فى نقاوة كيميائية كاملة ، ولذا فان لونه كما تنفجر عنه قنابله أو يلقى من الجو لون غامق . ويتبخر هذا السائل رويدا رويدا بفعل حرارة الجو فيتصاعد منه لمدة طويلة بخار أو غاز شديد الادرار الدموع . وقد يهيج الرئة والمسالك التنفسية أيضا

(وثالثها) مركب يسمى بروموبنزيلسيانيد (B.B.C) . وهو سائل بنى اللون ، ذو رائحة قوية تظل منتشرة امدا طويلا فى مكان سقوطه . ولكنه أقل فعلا من المركب السابق

ومن الحظ الحسن كذلك أن هذه الغازات لاتسبب تلفا فى العين وخاصة اذا أسرع الانسان فى الهرب من الجو الملوث بها أو استعمل الكمامة الواقية . أما ضررها فناشىء من كثرةهطول الدموع كثرة تؤدي إلى اعاقة البصر . ومن ثم تعوق حركات الانسان ونشاطه ولكنها قدتعرضه للهلاك بقنابل أو غازات أخرى

وقد يتذكر القراء أن هذه الغازات يستعملها رجال البوليس فى بعض الممالك لتفريق المتجمهرين فى المظاهرات . أى يطفئون حماستهم بماء مآقيهم

٤ — الغازات الكاوية الحراقة . هى الثانية فى ترتيب الخطورة بين هذه المركبات الكيمائية الجهنمية ، إذ أنها أكثر ضررا وإيذاء من النوعين السابقين ولكنها أقل خطرا من الغازات الخانقة كالكلور والفوسجين ، وإن كانت أحيانا تؤدى بالانسان إلى الموت الزؤام

وهى فوق ذلك من النوع الذي تبقى غازاته متبخرة فى الجو وقتا طويلا بحيث قد يضطر سكان أحياء برمتها إلى هجرها إلى أن تطهرها لهم فرق مكافحة الغازات السامة

وأهم هذه الغازات اثنان . أحدهما يسمى « غاز الخردل »

والثانى يسمى « لويسايت »

أما « غاز الخردل » وهو « ثانى كلورأشيل سلفيد » فيصل إلى الأرض بشكل سائل يشبه الزيت وله رائحة خاصة به تشبه لدي بعض الناس رائحة الخردل ، ولكن البعض يشبهونها برائحة الثوم أو البصل . ولكن الاعتماد على الأنف فى اكتشافه لدي الاغارات الحربية غير مأمون تماما إذ أن حاسة الشم سرعان ما تتأثر منه بحيث يعسر اكتشافه بعد ذلك بل ان بعض الناس لايشعرون برائحته مطلقا مالم يكن بكميات وافرة

وهذا الغاز سهل الذوبان فى البنزين والكحول والمواد الدهنية والقار « الزفت » وغيرها من

السوائل . ونظرا لسهولة ذوبانه فى المواد الدهنية فان جلد الانسان يمتصه بسهولة فيدخل من المجارى التنفسية ويسبب أضرارا بالغة للانسان تؤدى أحيانا للموت

أما قابليتــه للذوبان فى القار « الزفت » فلها أهميــة كبرى إذ أن سطح الشوارع المغطاة بهذا الطلاء تمتصه فيبقى فيها خطرا كامنا مدة طويلة

ولدى سقوط سائل الخردل هذا فى مكان فانه يتبخر بكل بطء فيبقى بخاره وغازه فى الجو أمدا طويلا بحيث يدوم الخار أياما . وسواء أكان ســائلا أم غازا فانه مركب شــديد التهيج . والسائل أكثر مفعولا بطبيعة الحال

ويختلف هذا المركب الخطير عن جميع الغازات السابقة نظرا لتنوع الطرق التى يؤذي بها الانسان وتعدد أشكالها . فنجد مثلا أنه إذا سقط على الارض أو تلطخت به الحيطان فان الغاز المتصاعد منه يؤذى العينين والرئتين والاجزاء العارية من الجسم . بل قد وجد أن الملابس قد تمتص هذا الغاز ناهيك عن السائل ، فيخترقها تدريجيا إلى الجلد المغطى ويسبب حروقا شديدة به وان يكن المصاب مع ذلك قد حمل إلى خارج المنطقة الملوثة به

ونجد كذلك أن مجرد لمس الأرض أو المواد الأخرى المبللة بسائله يسبب بعد وقت قليل حروقا فى اليد أو الاقدام كما يحدث لبقية الجسم إذا وصل السائل إلى ملابس بأى سبيل كان

ومن كل ذلك نرى أن الشخص الذي يلوثه سائل الخردل هــذا أو غازه لا يحمل الخطر لنفسه فحسب بل يصير خطرا على سواه . بل ان مجرد تلوث حذاءه من الشارع مثلا قبل دخوله على أقاربه فى المنزل يكفى أن يصيبهم الغاز المتصاعد من ذلك الحذاء الملوث

وتصور فوق ذلك مايمكن أن يحدث إذا أمطرت إحدى الطائرات هذا السائل على السكان الآمنين تحتها بشكل رذاذ بدلا من القاء قنابله . فتنشره على الرؤوس والوجوه والملابس والاجسام وفى كل مكان

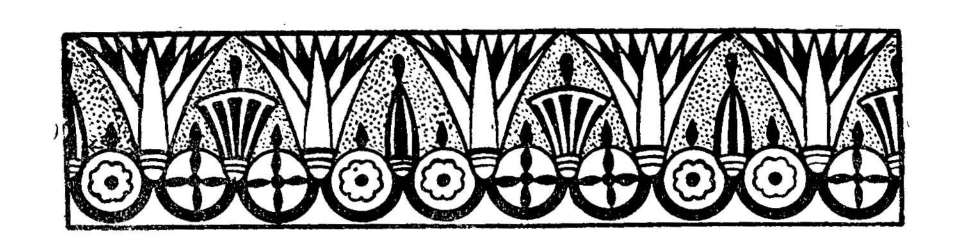
ومن حسن الحظ أو من سوء الحظ أيضا أن الاعراض التى يحدثها سائل الخردل ، أو غاز الخردل كما تشاء أن تسميه لا تظهر عادة الا بعد مضى مدة تتراوح بين ساعتين إلى ثمانى ساعات ، وإذ ذاك لا يمكن لقدرة بشرية أن تمنع الاذى الذى يلحق الجسم . ومن ذلك نرى مقــدار الاهمية العظمى والفائدة الكبرى فى سرعة تطهير كل شخص يتعرض لذلك المركب الشيطانى سائلا كان أو غازا ، إذ أن السرعة قد تمنع ظهور أعراضه بتاتا أو على الاقل تخففها

أما سوء الحظ فى هذا الامر فناشىء من أن عدم ظهور الاعراض بسرعة قد تجعل المصاب غافلا عن تلوثه فينقل الأذى إلي سواه

أما الأعراض فكثيرة متنوعة . وتشمل بصفة خاصة التهاب العينين وتورمهما بشكل حادشديد يمنع الرؤية مع هطول الدموع وتوتر الجفون والآلام الشديدة بالعين والرأس . والتهاب المسالك الهوائية أى الحنجرة والقصبة الهوائية والشعب مع زكام وسعال جاف خشن . وألم بالمعدة مع قىء أحيانا . وكذلك حروق كاوية للجسم تبدأ كاحمرار أو التهاب يصحبه أكلان شديد فى الجلد ، ويستمر الحال عادة بظهور فقاقيع وحويصلات وتسلخ به كما يحدث من سقوط الماء الساخن . بل قد ينتهى الحال بظهور قروح مزمنة لا تشفى سريعاً

ومن حسن الحظ أن نسبة الوفيات من هذا المركب المزعج المؤلم قليلة جدا وأن العلاج ممكن لمن يصاب باعراضه مالم تتلوث أصاباته بالميكروبات فيصيبه القضاء المحتوم

هذا هو غاز الخردل الشهير . أما صنوه المسمى « لويسايت » فيشبهه كثيرا فى خواصه وأعراضه مع بعض الاختلاف فى تركيبه إذ يحتوى على الزرنيخ . ولذا يؤثر على الأنف . كما يختلف فى أن له رائحة خاصة تشبه « عطر الجناين » وأن أعراضه فى العين والانف تظهر فى الحال فيسهل العلم بوجوده وعلى العموم فهو أسرع تأثيرا على الانسان من أخيه فتظهر أعراضه فى ثلث ساعة بدلا من ساعتين أو ثماني ساعات



آنسة جميلة وكاتب شرقي
شرلوت واصف وعبد الوهاب عزام

للاستاذ بشرى الضبع

احتلفت مصر في الاسابيع الماضية بملكة الجمال التي وافتنا الاخبار بعد ذلك بانتخابها ملكة على ملكات الجمال في العالم كله . فشعر كل مصري بقامته تطول وبصدره يتسع لانه تمثل نفسه بلحمه ودمه في شخص الآنسة شرلوت يملأ صفحات الجرائد في العالم اجمع ويشغل اكبر قسط من حديث الناس في أندية العالم ومحافله . ولست أظن ان مصر نالت فوزا أدبيا وسياسيا كهذا الفوز الذي جاء دليلا على يقظة الشعب المصري ورقي شعوره وسمو فهمه وتذوقه للحياة . وليس هناك أدل على حيوية الشعب وتقدمه في سلم المدنية كتقديره للجمال وتكريمه لملكات الجمال . ولكن مصر ما زالت منكوبة بنفر من الكتاب يخيل للانسان حين يقرأ كلامهم المطرز انه يعيش في عصر من عصور الجهل والهمجية .

والدكتور عبد الوهاب عزام واحد من هؤلاء الكتاب أصحاب المواضيع الانشائية ، فقد كتب مقالة في مجلة الرسالة . وهي مجلة أخذت على عاتقها نشر ثقافة عصور الظلام وأساليبها . فهي تعيش في عالم ضيق قوامه الالفاظ المزخرفة والتفكير الفطري لانرى أثرا فيه لجينز ، أدنجتون برتراندرسل ، ولز ، فرويد ، ادلر ، ، برجسون ، يونج ، اندريه جيد ، بول فاليرى ، لبفى برن ، وجيمس فريزر ، أو لأضراب هؤلاء من الكتاب الذين يعتبرون قوام التفكير الحديث .

كتب هذا الاستاذ مقالة انشائية يندد فيها بالذين قاموا بعقد مباراة الجمال في مصر وغير مصر ويصفهم بأشنع العبارات . فهم فسقة وتجار رقيق وهي فاسقة ورقيقة . هذه المقالة الانشائية ان دلت على شيء في إنما تدل على مقدار ما حصل صاحبها من علم وما اكتسب من ذوق . ويكفي ان تمعن النظر في أسلوب هذا المقال وغيره من المقالات التي يملأ بها صفحات الرسالة حتى تحكم على علمه وذوقه . فهو أسلوب يذكرنا بأساليب العامة الذين يكلفون بالالوان الزاهية وباللباس المعقد المزدحم المثقل بأنواع وأشكال مختلفة من الوشي والتزويق . فبينما نجد العالم المتمدين يتجه

بذوقه نحو بساطة الشكل وغناء الروح ، تتلمس هذا الاتجاه فى الازياء والاساليب ، فى تخطيط المدن وتنسيق الحدائق ، فى الفنون بأنواعها المختلفة من تصوير وموسيقى وقصة وشعر ، نجد صاحبنا لايزال على فطرته فى الميل الى الزينة الفجة والحشو السخيف . والواقع أنه أراد بهذه الالفاظ المطرزة أن يعرض النقص البين فيما حصله من العلوم الحديثة ، هذه العلوم التى لايستغنى عنها أديب يحترم نفسه . ولقد كان خيرا له أن يقصر همه على نقد الكتب الصفراء والتعليق عليها . أما أن يتناول فى كتاباته موضوعات علمية ، فنية واجتماعية فهذا مالم يخلق لأجله. اذ انها موضوعات تحتاج الى طراز خاص من الثقافه والعقلية والذوق لاسبيل له اليه. وهو لايكتفى ان يكون فطريا فى طريقة كتابته واتجاه تفكيره وانما يريد ان يكره المصريين جميعا على ان يكونوا فطريين فى حياتهم العملية . فيعيشون منعزلين مبعثرين يجترون أحلامهم ويتذوقون الجمال تذوقا فرديا لايمارسون شيئا من هذه الجهود الاجتماعية التى تتميز بها الامم المتمدينة كعقد الصالونات الادبية واقامة الحفلات والمعارض والمباريات المختلفة التى تدل على درجة تقدم العنصر الاجتماعي فى نفوسهم



الآنسة شرلوت واصف

كتب الاستاذ يقول . . . « وقرأت من بعد فى الجرائد عن حماقات كهذه فى الاسكندرية (يقصد بدعة انتخاب ملكة للجمال) فرأيت الداعين اليها بين صاحب ملهى يريد أن يجذب الناس اليه وصاحب جريدة غير عربية يبغى رواج تجارته ، وأمثال هذين ، وبعد قليل رأيت صورة الملكة وقرأت أحاديث عنها فعلمت أن فتاة اسمها شرلوت واصف سماها بعض ذوى المآرب ملكة

الجمال فى مصر ، ولقبوها « مس إيجبت » ورشحوها للذهاب إلي بروكسل لتشارك فى مباراة الجمال . قلت شرلوت ليس إسما عربيا ومس إيجبت لاتعرفها مصر فما اهتمامك بجماعة من الحمقى أرادوا أن يشهروا فتاة أو يشهروا بها أو يتملقوا اليهـا أو ينالوا مالا أو لهم مآرب أخري . ثم تذكرت ما سطرته فى أول هذا المقال ، تذكرت ان زمام الاخلاق فى هذا العصر بأيدى هـذه الطغمات وأشباهها وأن هذا الذى نستنكره اليوم سيصبح اذا سكتنا عليه عادة تعد المجادلة فيها ضربا من الافن وفكرت فى أن مس إيجبت هذه ستذهب الى أوربا باسم مصر وتشارك فى سوق الرقيق هناك . وتبوء مصر بكل ما فى ذلك من عار وحماقة » ولست أدرى كيف أجاز الاستاذ لنفسه أن يقول عن آنسة مصرية صميمة من أرقى العائلات المصرية بأنها رقيقة ذهبت لتشارك فى سوق الرقيق . ولست أدرى كيف اشتركت الجرائد المصرية والاجنبية كلهـا فى هـذا الاثم العظيم فروجت لهذه الرقيقة التى ذهبت لتشارك فى سوق الرقيق وكيف أعلنت الاذاعة الحكومية عن هذه الرقيقة وتفوقها على رقيقات العالم أجمع فى مباراة الجمـال : ثم يقول فى موضع آخر . « ووراء هذا جماعة من تجار الكتاب والفسقة المفسدين . يريدون أن ينالوا رغائبهم بشريعة ويفسدوا فى الارض على علم فيكذبون على الجمال والفن والحرية ما شاءت مآربهم ، ويحرفون الكلم عن مواضعه ، ويسمون الرذائل بغير أسمائها ، فالفسق اعجاب بالجمال ، وكل خليعة فنانة وكل خليع أستاذ »

وانى لأسائل نفسى بماذا أسمى هذا الذي يستبيح أعراض الناس بلا دليل أو برهان ! ولست أدرى كيف تسنى للاستاذ أن يعكس الامور عكسا شاذا ، فالجميلة فاسقة والادباء المثقفون يقيمون مباريات الجمال ويدعون اليهـا فسقة خليعون والشباب الحى البرىء المعجب بالجمال ماجن أحمق . وانى لأعجب كيف يريد الاستاذ الناس أن يتذوقوا الجمال وفى أى صورة من صوره أو حالة من حالاته يريدهم أن يلتمسوه

وأنى فى هذه العجالة سأحاول أن أعطيه درسا فى قيمة الجمال الاجتماعية لعله يزيل عن عينيه هذه الغشاوة الكثيفة التى صاغها التقليد والمزاج المريض . وليس هناك شك فى أن مزاج الاستاذ من هذه الامزجة المريضة التى يكره صاحبها الحياة الاجتماعية فى مظاهرها المختلفة فيعيش فى عالم من نفسه وأوهامه . هو أحد هؤلاء الناس الذين يستجيبون للحياة استجابة سلبية

كل انسان فى هذه الحياة يسعى لتحقيق شىء واحد . هو السيادة والسلطان وتركيز الضوء

على شخصيته . فالانسان كائن اجتماعى وطبيعته الاجتماعية أوجدت فيه خاصتين . مركب النقص أو الشعور البالغ حد المرض بالضعة والعجز ثم حب السيادة والسيطرة . فهو فى المجتمع كالطفل فى العائلة ينشأ عاجزا ضعيفا يحتاج الي من يسنده ويعينه ، فينشأ فيه شعور بالضعة والعجز . وهو يستجيب لهذا الشعور استجابات مختلفة . فاما أن يسلك مسلكا ايجابيا فيطرق الاعمال التى تفيد المجتمع وترقيه فيكون هذا الشعور بالضعة كنبه خفيف يدفعه الى التقدم والرقى حتى يثبت للناس انهم انما كانوا مخطئين فى حكمهم وأنه جدير بان يكون موضع اعجابهم ، فيشبع بهذا عاطفة السيادة فى نفسه . ومظاهر هذه الاستجابة الايمان بالحياة وبجمال الحياة والاطمئنان والثقة بالنفس والتهافت على المجتمعات المختلفة .أو انه يستجيب للحياة استجابة سلبية فيزهد فيها ويعتزلها ويعيش فى عالم من أحلامه وخيالاته وهو بهذا يشبع عاطفة السيادة والسيطرة فى نفسه لانه يوهم نفسه أنه أرفع واعلا من أن يدخل فى غمار هذا العالم الحقير ويجرى وراء الناس فى تطلعهم نحو الحياة وجمال الحياة . وانا لنسأل . الاستاذ عزام . أهو من هذا الفريق الذى اشرب قلبه حب المجتمع والجمال الاجتماعى فراح يبشر بهذا الحب وأخذ يؤكد فى نفوس الشباب بذوره ، لاتعجزه معضلة من المعضلات ولاتنكصه على عقبيه صعوبة من الصعوبات ، لايهم إلا بهموم المجتمع ولايفكر إلا ان يعيش عاملا منتجا فيه ؟ أم هو من هذا الفريق الذى يخاف الحياة وزحمتها فيلبس لباس الزهو أو يرتدى رداء التقوى والزهد فى الحياة ! الواقع ان الاستاذ عزام لايفكر إلا فى دائرة ضيقة من نفسه ولايعيش إلا فى عالم من التقوى المتكلفة والزهد السخيف . توهم انه باستجابته السلبية للحياة يؤكد شخصيته ويركز الضوء عليها فراح ينكر الحياة وينكر الجمال فى الحياة فى صوره المتمدينة الراقية ويدعو الناس الى عالمه ، عالم الوحدة والعزلة ، كأن الناس بريئون من هذا الداء . فالواقع ان كثرة الناس فى مصر يعيشون هذه الحياة المفرقة المبعثرة لايتذوقون الحياة ولاجمال الحياة إلا تذوقا سلبيا . فهم قد يعرفون الجمال ولكن فى الكتب أو فى أحط حالاته واقذرها . فى البيوت الدنسة والمواخير العامة . شبابنا محروم من تذوق الجمال فى الصالونات والمحافل الاجتماعية والاندية حيث تتهذب النفوس وترقى المشاعر ، وتسمو العواطف . لم نتعود بعد كيف نتذوق الحياة مجتمعين العنصر الاجتماعى معدوم فى نفوسنا. كل يعيش فى نفسه يجتر احلامه واوهامه . وبدلاً من ان يقوم أستاذ من الجامعة كالأستاذ عزام يقوى هذه الناحية الاجتماعية فى نفوس الشباب ويدعوهم الي تذوق الجمال تذوقا اجتماعيا وإرواء أنفسهم من ينبوع الحياة المتفجر ، تراه يدعوهم ويلح فى

الدعوة الى انكار الحياة والزهد فيما تفيض به من جمال عبقرى . وهو الى هذا ينكر على الفتيات تجملهن وسعيهن الي استكمال هذه الحاسة النبيلة ، حاسة الجمال الكامنة فى نفوسهن ويدفعهن الى الاختباء عن المجتمع المصري يحرمنه ويحرمن الشباب خاصة من انبل مصادر الوحي . ولست أعرف شيئا يؤخر تقدمنا ونهوضنا وظهور الفنانين المجيدين فينا كاحتجاب المرأة عن مجتمعاتنا . ولست فى حاجة الى ان اذكر كيف تفعل الفتاة الجميلة الراقية فعل السحر فى نفوس الشباب إذ تحيل جموع هذا الشباب المحروم الممتلىء بالمركبات النفسية الى قوى فعالة حية تنهض بمصر وتعيد اليها مجدها العظيم . وإني لأراني الآن أمام سؤال خطير

ما هى الغاية من الحياة ! أهى أن ننكر الحياة أو أن نقبلها ! أهي أن نعيش أو ألا نعيش . لا شك فى أن الحياة هي لنا بجمالها ومباهجها . إن الله نفسه لم يرض الوجود المجرد فخلق هذه الكائنات لكى يعيش فيها ويستمتع بجمال الوجود الانسانى والطبيعة الانسانية

ولست أدرى كيف يكون الوجود الراقى الا فى هذه الجهود الاجتماعية التى نقوم بها من حين لآخر فتملأ آفاق الدنيا بالفرح والغبطة . وما هي هذه الجهود الاجتماعية ! أليست هي فى الاحتفال بقدوم الربيع الجميل ! أليست هى فى تكريم الجمال ان وجد فى الانسان والحيوان والنبات! أليست هي فى اقامة المعارض الفنية والصناعية والزراعية ! أليست هي فى عقد الصالونات الادبية وحفلات الرقص والموسيقى ! وبأى شىء تتميز هذه الجهود ! أليست بالجمال ! أليس غايتها اظهار اجمل ما يمكن ان تظهره الطبيعة والعبقرية الانسانية !

الجمال فى المجتمع يحرك قرائحنا ويوقد ذكائنا ويوقظ ملكاتنا ، فيخرج منا المصور والمثال والموسيقى والشاعر والكاتب والفيلسوف . وهو الى ذلك يحبب الينا الحياة وينمى ايماننا بقيمتها ورسالتها . ويوثق عرى المحبة والصداقة والتعاون بيننا . يصقل نفوسنا ويرقق عواطفنا واحساساتنا ويبعث فى صدورنا حبا انسانيا عاليا وآمالا بعيدة ، يتخيل الينا أن هناك موسيقى عالية تنبعث من كل الانحاء . من الوجوه والاعين ، من الاشجار والازهار ، من العمارات والاندية ، من الاكواخ والحقول ، موسيقى تحمل فى تضاعيفها فرح الحياة ورسالة العبقرية .

من المؤلم جدا ان نجد أستاذا فى الجامعة يأتى باوهام لايثبتها إلا بهذا النوع من السباب القبيح والالفاظ المبتذلة . فأنت لاتخرج من المقال إلا بهذه العبارات. تجار رقيق ، فسقة ، خليعة ، طغام ، رقيقة تشترك فى سوق الرقيق ، بعض الوقحين من طلبة الجامعة ، . . . الخ الخ .

وكنت أحب أن أرى أستاذ الجامعة يترفع عن هذه الطرق المريضة فى معالجة المواضيع التى يتناولها . فهى شبيهة باستجابة المريض بمرض عصبى حين تعترضه مشكلة من مشاكل الحياة . فهذا المريض إذا اعترضه أحد فى الطريق وأهانه بكى واهتز وتملكت كيانه رعشة صبيانية واستلقى على قفاه يضرب الارض بقدميه ، وهو بدلا من أن يواجه غريمه بالتأديب المباشر تنتابه ردة تدفعه إلى هذا النوع من الاستجابة الصبيانية . هكذا أيضا يفعل الاستاذ عزام . فهو بدلا من أن يعالج موضوعه بالحجج الدامغة التى تمس فكرات بينة محدودة ، يتناوله هذا التناول المريض الذى يقوم على السباب والقذف . وكان خليقا به وهو أستاذ فى الجامعة أن يتحفنا بفصل ممتع فى الجمال وفيما للجمال من أثر فى الحياة الاجتماعية ، فى فكرة عقد المباريات من حيث هى وما لها من شأن فى التقدم الاجتماعى . ثم يصف لنا بعد ذلك المجتمع المصرى وصف العالم الخبير ويوضح رأيه الخاص فى صلاحية هذه الانحاء الجديدة من أنحاء الاجتماع للمجتمع المصرى أو عدم صلاحيتها . ولكن الظاهر أن هذه مسائل بعيدة عن طبيعة تفكيره لانها مسائل لايتناولها إلا أصحاء التفكير من الكتاب ولانها كما قلنا مسائل تحتاج الى طراز خاص من الثقافة والعقلية والذوق . هو يكتب فبهذا الطابع العقلى الذي يكتب به طالب المدرسة الثانوية موضوع انشائه وإلا فأى فضل للأستاذ فى هذه الالفاظ المبتذلة التى يجيدها كل عابر سبيل

ويزداد الانسان معرفة بعقلية الاستاذ وفهمه للحياة بقراءته لمقال آخر كتبه فى الرسالة يندد فيه بالحضارة الاوربية ويحذر الناس من شرورها وآثامها . ونسى أن هذه الحضارة الرفيعة العالية التى يكرهها ويخافها انما هى ذلك السحر العجيب الذى تمكن به أصحابها من السيطرة على الامم التى ما زالت تصطنع هذه الالوان من التفكير التى يفكر بها الاستاذ . لقد مضى الزمن الذى كان يعتمد الانسان فيه على أمه الطبيعة فى توفير وسائل عيشه ومضى الزمن الذى تسود فيه هذه الافكار الفطرية التى تتصل بهذا الدور الطبيعى الذى مر عليه الانسان . وأصبحنا نرى الانسان صانعا خلاقا يسيطر على الطبيعة ويستعبدها لمنافعه . مضى زمن الانسان الزراعى بميوله وأفكاره البسيطة وجاء زمن الانسان الاقتصادى الصناعى المركب المعقد التفكير والاهواء . فأين نحن الآن ؟ نصطنع الحضارة الاوربية فى كل مرافق الحياة المادية . نلبس كما يلبس الاوربيون ونستغل نتاج الفكر الاوربى فى الاستعانة به على ضرورات الحياة ولكننا مع ذلك لا نصطنع العقل الاوروبى ولا نعود أنفسنا أن ننظر الى الاشياء هذا النظر العلمي . تكشف لنا ٣٤م

الانتروبولوجيا والسيكلوجيا والاجتماع حقائق جديدة فى كل عام عن تاريخ الانسان والاخلاق والاديان ، حقائق دفعت أوربا الى تغيير معاييرهم الاخلاقية ونظرهم نحو الحياة . أما نحن فلا نزال نفكر وننظر الى الحياة بأفكار وعيون أجدادنا القدماء . أفكارنا لم تتحضر بعد . هي ما زالت سجينة فى اغلال الماضى ، يمر الزمن وتتقدم الايام وهى ما زالت متلكئة متبلدة . فكل من بدا له أن يفكر بأسلوب يغاير مادرجت عليه الجماعة وتركز فيها وسرى منها مسرى الدم فى العروق فهو مذنب أثيم جزاؤه السجن والاضطهاد . حضارة أوربا التى ينكرها الاستاذ هى حضارة تقوم على التفكير الحر وفهم الحياة فهما صحيحا ، فهما لايقوم على الاوهام والخرافات . ولست أشك لحظة فى أن حضارتهم تدين الى حد كبير لنظام حياتهم . هم يؤمنون بالحياة أما نحن فنخضع لها . هم يعيشون مجتمعين متكاتفين فى هيئات وأندية أما نحن فنعيش متفرقين مبعثرين . هم رجال صناعة وشركات وقوة أما نحن فرجال زراعة وتجارة فطرية وضعف . هم يربطون الظواهر الكونية بعللها الطبيعية ويفسرون حياة الانسان وتاريخه تفسيرا يقوم على المشاهدة والاختبار والبصيرة المهذبة المصقولة . أما نحن فننسب حدوثها الى قوى خفية نخافها ونتملقها ويقوم فهمنا لحياة الانسان وتاريخه على الدعوى والوهم . هم يدركون حقوق الانسان أما نحن فلانعرف غير العبودية . هم يطربون للحياة ويقبلون عليها . أما نحن فنتصوف ونولي لها ظهورنا هذا هو الفرق بيننا وبينهم وهذا هو سر تقدمهم وسر تأخرنا وبعد ذلك أيريد الاستاذ ألا نحتفل بالجمال ولا نتذوقه مجتمعين كما يفعل أهل الفكر الحر والنظر الطليق ولست أرى كيف يمكننا أن نتطلع الى السيادة والاستقلال اذا لم تصطنع الحضارة الاوربية بحذافيرها

الجمال موجود فى الطبيعة ، فى كل مكان ، فى كل الانحاء . والجمال الانسانى كان ولا يزال منذ أقدم العصور النموذج الاعلى لكل جمال والوحى الخالد الذى لا ينضب له معين لجهود الانسان فى مختلف مناحى الحياة . هو طرب الحياة ومرحها ، هو عنوان النظام والصحة والانسجام ، هو وحى يوحي الى الانسان ان يحقق معانيه فى كل مايحيط به . يحققه فى بيته ومكتبه ، فى لباسه ومظهره ، فى حديثه وحركاته ومعاملته مع الناس . وكيف يمكن أن يحقق هذا اذا لم نحتفل بالجمال هيئات وجماعات . ان أهم مظهر للمتمدينين هو انهم يعيشون مجتمعين ، ترى فى أفرادهم الجانب الاجتماعى من نفوسهم قويا بارزا ، وهم لا يعرفون من معنى الحياة الا هذه الحياة الاجتماعية

يمر الشاب فى اثناء نموه بأدوار جنسية مختلفة .وعلامة النضج الجنسى التنبه الي وجود المرأة

والتطلع الي التزوج بها . والجمال فى المجتمع عامل فعال يعجل نضج الشاب وينتشله من حالات الشذوذ والانكماش الجنسى ويدفعه الىمباهج الحياة ، حياة الرجولة والاكمال والصحة . لاحياة الردة الجنسية والرجوع الى أطوار الانسانية الاولى والاستجابة للحياة استجابة فجة بدائية . فيعيش فى عالم من نفسه ويتحول طموحه الغريزى الي الجمال عن طريقة الطبيعة فلا يراه الا فى جنسه وهيئته ولا يعشق الا لنفسه بجتر أوهامه واحلامه ويمارس هـذه العادات الجنسية الشاذة فى نفسه وفى غيره

ان للجمال فى المجتمع لشأنا خطيرا . ينتشلنا من الانكماش والشذوذ ويدفعنا الى حياة العبقرية والانتاج الخصب ، ويوحد صفوفنا فى صعيد نحو غاية واحدة

وأنى أختتم كلمتى بهذه العبارة التى وردت الي جريدة الاهرام الغراء فى رسالة بعثها اليها مراسلها الخاص فى باريس صباح اليوم الثاني من شهر اكتوبر سنة ١٩٣٥ .. « وكان كثيرون من الكتاب والفنانين فى انتظارها لتهنئها والترحيب بها بعد أن هنأها المسيو لويس دارينوس العضو فى مجلس النواب الفرنسوى ومدير جريدة « الانترانسيجان » باسم جريدته . وردت « مس العالم » بكلمة القتها أمام ميكروفون الراديو . . وفى الساعة الثامنة توجهت الى محطة ليون حيث كان فى وداعها بعض موظفى المفوضية المصرية وقد قدموا اليها باقة من الزهر باسم محمود فخري باشا الوزير المفوض »

هذه هى الفتاة التى ذهبت لتشارك فى سوق الرقيق فقدم لها الزهر باسم ممثل الحكومة المصرية جزاء لها على العار الذى الحقته بمصر

لقد اقترفت ياعبدالوهاب عزام اثما كبيرا واثمك لايقع على ملكة الجمال والفنانين فحسب وانما هو أصاب المصريين كلهم . فهلا رجعت الى الصواب وسلكت الطريق القويم !

التطورات النفسية بعد الحرب الكبرى

وأثر فرويد فيها

تبدو فى بعض البلاد اليوم حركة شديدة ترمي الى تعرية الجسم من اللباس ويناهض هذه الحركة الجمهور الغالب على أنها منافية للآداب ، ماسة بالكرامة الانسانية ماسا شديدا . فالانسان يمتاز عن الحيوان باللباس . واللباس تجميل أكثر منه وقاية من أعراض الجو كالحرارة والبرودة

أما أنصار العراء فيرون أنه مرحلة محتومة للعودة الي أحضان الام الاولى للانسان ويعنون بها الطبيعة . وقد كان الانسان الاول يعيش فى الحراش والغابات عاريا فاللباس طارىء عليه وقد جاء أولا للزينة ثم تطور الى أن أصبح وقاية من البرد والحر لان الجسم اكتسب بتعود اللباس ضعفا عن مقاومة الجو ثم أصبح بالتفنن فيه لازمة من لوازم الانسان المتمدن وأصبح كثيرون يعنون بلباسهم عناية شديدة

واذا كان القائلون بالعرى يلتمسون الاسباب لدعواهم فى الصحة والعودة إلى أحضان الطبيعة فان هناك إلي جانب ذلك أو بتعبير أدق الى ماوراء ذلك ، تأثير الغريزة الجنسية المكبوتة . تلك الغريزة التى لقيت منذ أقدم العصور الكبت والتحريم ! وحظيت بطائفة من الاضطهادات المتكررة مع أنها كما يقول العلامة سجموند فرويد أهم الغرائز الانسانية وأعظمها شأنا فاذا كانت غريزة الذات كافلة لحياة الفرد وغريزة الاجتماع كافلة لحياة الجماعة فان الغريزة الجنسية كافلة لحياة النوع باسره فهى الاساس الاول لكل ما نرى من مدنية وعظمة وقوة وتقدم

***

والذى يعنى بتلمس دلالة التطورات الاجتماعية منذ وضعت الحرب الكبرى أوزارها لايصعب عليه أن يلمح الاتجاه الذى تسير اليه هذه التطورات . ويمكن تلخيصه فى كلمة واحدة ، العودة الى احضان الطبيعة ، والواقع ان الحرب الكبرى كانت فاصلا فرق بين عهدين ، والذين عاشوا قبلها وما زالوا يعيشون يستطيعون أن يلمحوا بسهولة أنها لم تحمل الى العالم تطورات عسكرية ومدنية وحربية وسياسية فحسب بل حملت تطورات اجتماعية جديدة فقد شملت العالم أثرها موجة

هائلة من الاستهتار بالقيود والتحرر من الفضائل . ولم تنج مصر من هذه الموجة بل لفحتها منها لفحات شديدة

ويستطيع كل واحد منا أن يلمح بسهولة مقدار التطور الذى أصاب معانى الاخلاق وأصاب فهم الناس للصالح وغير الصالح والمحرم والمباح . فقبل الحرب كان كشف المرأة لوجهها امرا عجيبا يقابل بالاستنكار والسخط والاشمئزاز . واليوم لا تكشف المرأة عن وجهها فحسب ولكنها تكشف عن ساقيها وعن نحرها وعن ذراعيها وتكشف على شاطىء البحر جزءا كبيرا من جسمها

ولا يمكن القول أن هذا التطور أصاب فريقا واحدا من البيئة المصرية فالصحيح أنه أصابها جميعا فى كل نواحيها ولا عبرة بما نراه من بقاء بعض العائلات فى المدن وبقاء الريفيات متحجبات فانه من الصعب أن يشمل التطور بيئة كاملة دفعة واحدة . ولكن آية وجوده ثباته واستمراره وهو موجود ومستمر . وقد قوبل بطبيعة الحال بالكثير من السخط من جانب المتمسكين بالقديم المشفقين على التقاليد أن تتحطم على صخرة الرذائل الجديدة ولكن هذه الاصوات المعترضة أخذت تخفت رويدا رويدا الى ان تلاشت تلاشيا تاما

وكل ما أحب أن الفت اليه النظر هنا هو اتساع الفكر المصرى فى التطور الجديد الى قبول حالات لم يكن يقبلها فى عصر آخر . فقد انكمش حد التحريم العرفى والتقليدي انكماشا شديدا واتسع حد الاباحة اتساعا كبيرا

واليوم تجد الفتاة المصرية تطرق معاهد التعليم جميعا العالى منها والابتدائى والثانوى . وتقابل بالدهشة فى بعض الاحيان ولكنها تقابل فى كل الاحيان بالتسليم والقبول وقد قيدت آنستان مصريتان فى جدول المحامين وتوشك كلية الطب أن تخرج طبيبات وقد خرجت كلية الآداب بالفعل فريقا كبيرا من الآنسات المصريات واليوم يدرس الحقوق والزراعة والتجارة والآداب والعلوم آنسات مصريات الي جانب شبان مصريين وبعد سنوات قليلة ستزول حتما كل الفوارق التقليدية التى وضعتها طبيعة الحياة المصرية بين الجنسين

وهنا يتساءل كثيرون هل هذا فى خير الفضيلة او هو تشجيع على الرذيلة . والجواب على هذا يتوقف أكثر الأمر على متانة الخلق وسمو التربية . فان الفضيلة ليست قرينة التحجب فى جميع الاحوال كما أن الرذيلة ليست مرادفة للاختلاط . وتستطيع المرأة المتحجبة أن تفجر وترتكب كل الاثام . كما تستطيع المرأة التى تختلط بالرجال ان تحافظ على أخلاقها وحصانتها

ولكن الذى يهمنا اليوم فى بحثنا ان هذا الاختلاط الذى يوشك ان تتم مظاهره جميعا فى

الحياة المصرية يعتبر نوعا من أنواع التفريج عن الغريزة الجنسية المكبوتة فهو اطلاق لها من بعض قيودها . فمنذ عشرين سنة أو ثلاثين كان يحرم علي الشاب أن يرى فتاة وهذا الحرمان يلهب فى نفسه غرائزها الواطية ويجعله يصارع فى داخلها سيلا من الطغيان يرده بعنف فيرتد أذاه على جهازه العصبى . أما اليوم فان هذا الكبت يجد بعض التفريج فى الاختلاط بالفتيات والتحدث اليهن ، والمرأة الاوربية تختلط بالرجال منذ زمن أطول من المرأة المصرية ولكن لم يقل أحد انها أقل محافظه على نفسها من المرأة المصرية . فليس الاختلاط فى ذاته شراً ولكن الشر يجىء من ضعف الخلق ، وضعف الخلق يقود الى الشر دائما سواء أكان الاختلاط أم لم يكن

* * *

وقد حسبت الاختلاط بين الجنسين فى مصر سبيلا من سبل التفريج عن الغريزة المكبوتة ، وهو فى مصلحة الشباب المصريين لان الكبت كما قلت يؤدى الى الامراض العصبية ومن رأي فرويد أن أساس الامراض العصبيـة جميعا كبت الغريزة الجنسية فالهستريا والنوراستانيا والقلق العصبى والقلق الهستري وغيرها تجد مصدرها فى كبت الغريزة الجنسية وقد يكون فرويد مبالغا فى هذا الرأى ولكن الواقع أنه على حق فى شطر كبير منه

ويسوق فرويد لتأييد نظريته عشرات الامثلة العملية التى صحت له فى حياته . ويذهب الى ماهو أكثر من ذلك فيقرر أن الاحلام ترجع فى أصلها أيضا الي تيارات جنسية مكبوتة ومانراه على أنه حلم ليس فى الواقع الا رمزا على رغبات جنسية لانستطيع تحقيقها ويسوق الحكاية الآتية يقول ان سيدة جاءته هازئة بنظريته تقول له انك تزعم أن الاحلام جميعها ترجع فى أساسها الى رغبات جنسية فهاك ماحلمت به وعليك أن تبين لى مزاعمك. فقد أحسست فى أثناء نومي برغبة شديدة فى أن تموت احدى صديقاتي ، وهى عزيزة على جدا، ورأيت في أثناء نومي أنى أعودها وهى فى مرضها متمنية أن يختم هذا المرض حياتها

وأجرى فرويد على هذه السيدة التحليل النفسى الدقيق متمشيا معها فى ذكرياتها واحدة وراء الاخري فاثبت التحليل أن أخت هذه الصديقة ماتت منذ مدة وان هذه السيدة ذهبت للعزاء فوجدت فى المأتم شابا استهواها منظره وانتهي فرويد قائلا لها فانت ياسيدتي حين سمعت أن صديقتك هذه مريضة . وحين ذهبت لعيادتها كنت تحت رغبة لاشعورية لاتحسينها ترجع الى تلك الحادثة القديمة . حادثة موت أخت هذه الصديقة وذهابك لتعزيتها ورؤيتك الشاب الذى استهواك هذه الرغبة جعلتك تتمنين ان لو ماتت صديقتك وذهبت للتعزية فيها فرأيت مرة أخرى هذا الشاب المحبوب

على أنه لايصح أخذ رأى فرويد قضية مسلمة ولكن الامثلة التى ساقها والكتاب الجليل الضخم الذي وضعه عن الاحلام وتفسيرها يؤكد الى حد بعيد صحة نظريته . نعم قد يكون مبالغا فان هناك غرائز أخرى أو طوائف من غرائز تكبت وتؤدى الى أمراض عصبية فان غريزة الخوف والهرب والطعام وغيرها من الغرائز قد تنتابها رجات عنيفة تؤدى الى رجات عصبية ومن ثم الى أمراض عصبية ولكن مما لاشك فيه أن للغريزة الجنسية النصيب الاوفر فى نشوء الاحلام ونشوء الامراض العصبية

ولا ريب أن الفضيلة بالحدود الضيقة المعروفة تعاني أزمة شديدة . ولكن لايجب أن يخيفنا هذا التطور الذى يصيب الحياة الاجتماعية فى العالم . ولا يجب أن نعتبره كله شرا فان الافراج عن الغريزة الجنسية بعض الافراج غير جدير أى يؤدى الى سواد الرذيلة وانما واجب المعلمين والعلماء والكتاب أن يقرنوا هذا الافراج بعاملين آخرين هما

١ التدريج

٢ التصعيد

ويقصد بالتدريج ألا يتم الافراج طفرة واحدة . لان الطفرة جديرة أن تقترن بالاخطاء وردود الفعل والمبالغة والافراط . فان تأخذ فتاة لبثت عمرها محجبة ، وتتركها فى معترك الحياة يخالط الرجال دون حصانة من الخلق وقوة الطباع خطأ كبير . أما اذا بدأت هذا التطور مع طفلة صغيرة فعودتها الاختلاط بالاطفال وراقبت هذا الاختلاط ووقفت منه الضار وقصرته على النافع لتنشأت فى جو من الفضيلة المهذبة والاختلاط المقرون بالعقل والحكمة ، مثل هذه الفتاة تنشأ نشأة صالحة ويصعب فى المستقبل أن تفرط فى عرضها

أما التصعيد فغاية سامية نبيلة يقصد بها الى السمو بالغريزة الجنسية عن طبيعتها الحيوانية إلي طبيعة روحية ويتم ذلك بتحويل النشاط الغريزى الى مسارب أخرى كالفن والرسم والعلوم والرياضة والتأليف . وفى كل حالة من هذه الحالات يعتبر الانسان أن ماينتجه فى هذه الفروع يساوى فى لذته المعنوية ماتعطيه الغريزة الجنسية فى لذتها المادية

وقد ذكر الأستاذ القاضى فتحى بك فى مذكراته عن علم النفس النبذة التالية عن التصعيد الناجح قال :

« وانه لمن دواعى الحيرة اتجاه بعض الافراد إلى تصعيد غرائزهم الفطرية وتوفيقهم إلى ذلك دون البعض وربما كان للاستعداد الطبيعى أو ظروف البيئة دخل كبير فى هذا التوجيه إذ ليس من

المستبعد أن يكون ما أصيب به أبو العلاء من فقد الابصار فى طفولته على أثر إصابته بالجدرى وما أحدثه هذا المرض فى وجهه من تشويه من أهم العوامل التى صرفته عن النساء والزواج وحملته على أن يولى وجهه شطر عالم معنوى ملتمسا من سمائه زواجا روحيا يحقق للنفس ماضاع عليها من انتاج مادى عن طريق الزواج بخلود معنوى عن طريق الانتاج العقلى . ومما يروى عن بتهوفن أنه كان دميم الخلقة ولم يكن فى حياته الجنسية موفقا مع النساء وقد أصيب فى حبه بصدمات صرفته عن الزواج ودعته الى كبت هذه العاطفة القوية فى نفسه ثم الالتجاء الى تصعيدها بتحويلها الي غرام وولع بفن الموسيقى فحصر كل جهوده الجنونية ونشاطه الغريزى فى الاشتغال بهذا الفن الجميل الذى اتخذه رمزا للزوجة الصالحة التى كان ينشد اخلاصها فمن ضمن مؤلفاته الموسيقية المشهورة الاوبرا المسماة « فيدليو » التى أودعها ما كان ينشد من عواطف الاخلاص التى افتقدها فى المرأة خلال حياته العملية فجاءت أصدق صورة للتعبير عن هذه العاطفة المكبوتة فى نفسه ، ولم يكن بتهوفن يجهل أنه حين وضع تلاحينه كان يعبر عن نزعاته الغريزية المكظومة فمن أحاديثه المأثورة هذه العبارة « لماذا أكتب أن مايكبته فؤادى لابد وأن يجد له فى الحياة مخرجا ، وهذا هو السر الذي دفعنى الى التأليف » انتهي كلام فتحى بك

ومما يذكر أيضا كدليل على أن التصعيد ونظرية العقل الباطن قد وجدا فى العالم قبل فرويد بالشعور والادراك وان لم يكن بالتسجيل والبحث العلمي ما روى فى الشعر العربي لشاعر الجاهلية قال

اذا كنت مدعيا مودة زينب   فاسكب دموعك يا غمام ونسكب
وكم قبلة لك فى الضمائر لم أخف   عنها الحساب لأنها لم تكتب

وقوله « كم قبلة لك فى الضمائر » اشارة الى الحب المكبوت فى العقل الباطن وقوله لم أخف منها الحساب اشارة الى القيود التقليدية التى تحرم الجهر بعواطف الحب

وقد قرأت منذ مدة فى مجلة اسبكتاتور مقالا قصد فيه الكاتب الى اثبات أن زعامة هتلر ترجع الى أنه ليس متزوجا ولا أولاد له وانه صدف عن الغريزة الجنسية المادية وصعد نشاطه الغريزى الى غايات أسمي ، واعتبر الألمانيون جميعا أبناءه فهو يضحى من أجلهم ويعمل لهم مايعمل الاب لابنائه . على أنه يجب أن نلاحظ بان التصعيد لاينجح فى كل الاحوال فهو يحتاج الى استعداد وقدرة وقوة على تغيير الاتجاه وهذه صفات ليست متوافرة فى كل انسان لذلك يخفق التصعيد فى حالات عديدة وهنا الخطر والطامة الكبرى لانه ينتهي الى أعراض مرضية وحالات عصبية شاذة

أحمد الصافى النجفى

أثر حياته فى شعره . طابع البؤس والشقاء . طابع الجبروت النفسى

أثر الخيام والمعرى فيه . ! . . . . .

وجه ساهم كأنما يطل من نافذة البؤس والشقاء وصمت عميق تجثم وراءه روح حائرة ثائرة تعطف على البشر وتهزأ بمقاييسهم وبمثلهم العليا فى آن واحد وجسم ألحت به الامراض فعاد خيالا وحياة فارقها النعيم وطلقت اللذة وطلقها الثراء ونفس طماحة إلى المجد والعلى على كل مايحتوشها من مثبطات . وعنق أستدقت وطالت تنم على سل دفين بين حنايا ضلوع يتجاور فيها السعادة والشقاء . وعباءة تنبسط فتلتف فاذا بها خيمة الصافى النجفى ، واذا بها كساؤه واذا بها فراشه ، ولحافه ، واذا بها كل مايملك ، عدا كسيرات من الخبز ، وبيوضات مسلوقة ، وكتب مشعثة ، تكاد تشكو ألم البؤس ولوعة الشقاء . وغرفة حقيرة ، تكاد تصرخ . ها كم شاعر الفن ، ها كم بر كانا ثائراً على حياتكم الظالمة ، وتقاليدكم البالية ، ها كم الصافى النجفى ، الذى يصور حياته بقوله :

أسير وظل البؤس يمشى لجانبي ... كأني حليف للشقاء وذو رحم

تعلق بى حبا فهذا خياله ... يلوح على شكلى ويبدو على رسمى

أجل هذا هو الصافى النجفى وتلك هى صورته فلقد أراد الله أن يصور الشقاء شخصا يمشى على الارض فلم يجد للشقاء صورة سوى هذا النجفى فقذفه فى هذا العالم أو قذف به العالم ليجعل من حياته قطعة موسيقية فيها اللذة وفيها الروعة وفيها العزاء فالصافى صورة حية للشقاء كما كان الجاحظ صورة للشيطان الذى أرادت الجاريه أن ترسمه على فصخاتمها . هذا هو الصافى الذي يقيم فى كوخه الشعري الذى يفوق القصور فى بهجته وروائه . تقرأ شعر الصافى فتشعر بعواطف تموج بين البحور والقوافى ونحس بأمواج من الاحساسات المتضاربة تلمس هذه البأساء التى لاتبكى ترى هذا التشاؤم الجبار الذى لايذرف دمعاً ولكنه تشاؤم يحتقر الشقاء نفسه فاذا به أسمى من أن يبكى كما يبكي غيره . أجل ليس الصافى بذلك الشاعر المائع العواطف المتلاشى الاعصاب

الذي حولته الكآبة ينبوعا من الدمع ينبثق لاقل تحريك ولكنه صخرة شمثتها حوادث الدهر فاستقر فى قعر وادى الحياة باسماً هازئا من الحياة ساخرا من الاقدار ومن نفسه ولكنه على احتقاره لهموم الحياة وآلامها شديد الاحساس بآلام الآخرين . فأظهر ماتلمس فى شعره طابع الشقاء والتعاسة فهو يرى وجهه صورة للشقاء فلا عجب إذا انعكس شقاؤه على كل مايصف وينظم حتى لتكاد تجزم بأن البؤس طابعه الخاص فما قصيدة الفلاح سوى أنة حزن تتصل بنياط قلب الصافى النجفى وهل يستطيع أن يرى فى شقاء الفلاح وبؤسه سوى رمز لما يحز فى قلبه هو؟ وهل يشاهد فى تعب الفلاح الذى لايجدى عليه ولا ينفعه سوى صورة مصغرة لاتعابه — فى قصائده — تلك الاتعاب التى لاتجدى عليه سوى الخيبة والحرمان بعد أن يقدمها للطابعين والناشرين ليزينوا بها صحفهم فلا يلقى عن ذوب دماغه ودماء قلبه سوى كلمات الثناء الاجوف الذى لايسد جوعا ولا يحمى عريا ولا يأسو مرضا . فلا عجب إذا أسف لنفسه هو ويأسف للفلاح فيهتف

رفقا بنفسك أيها الفلاح ... تسعى وسعيك ليس فيه فلاح
هذى الجراح براحتيك عميقة ... ونظيرها لك فى الفؤاد جراح
فى الليل بيتك مثل دهرك مظلم ... مافيه لا شمع ولا مصباح ! . . .
فيخر سقفك ان همت عين السما ... ويطير كوخك إذ تهب رياح
بغضون وجهك للمشقة أسطر ... وعلى جبينك للشقا ألواح

فهل ترى فى شقاء الفلاح سوى صورة الشقاء الصافى النجفى ؟ ان الصافى يصور نفسه وهو يدقق فى تصوير فلاحه البائس وان الصافى لينذر بالثورة وهو يأسف للفلاح . فالصافى ثائر فى كل مايكتب وينظم ثائر على العرف والعادة ، على الاقدار ، على الشرائع على التقاليد . ففلاحه التاعس يجب أن يكون ثائرا لا متألما فقط إذن ففلاح الصافى قطعة من قلبه وقبس من بركان نفسه فلاح الصافى الذى يخضع بعبودية ذليلة لحكامه وولاته يمزج دموعه بدمائه ليحولها خمرة تقدم على موائد الولاة والحكام . فلاحه الذى يصوغ من فتات عضلاته أقداحا يقدم فيها تلك الخمرة ان هو إلا صورة لشقاء الصافى الذى يسكب دماء وشعرا يغذى به الارواح الحائرة وليس من ورائه سوى مرارة النفس ولوعة القلب والفضيحة التى يراها الصافى تلبس الاغنياء والحكام اذا هو باح بسر ظلمهم وعتوهم على الفلاح يرى مثلها فضيحة للبلاد العربية التى لاتقدر نبوغه وعبقريته وان كان لايتملق ولا يعلن عن نفسه ولا يعفر وجهه على أبواب الولاة والحكام فيقول

سرّ ببؤسك فاضح لذوى الغنى لو أن سرك فى البلاد يباح
ياريف مالك شرب أهلك آجن رنق وشرب ولاة أمرك راح

ترى غرفة الفلاح التى يصفها شاعرنا فاذا بك تشاهد غرفة الصافى ذاتها تلك الغرفة التى يكافح بردها بسراج يكاد يخبو نوره غرفة ملؤها الثقوب بجواره فيها الفأر والبق والعنكبوت جيران يرغمونه على الكرم فيجود عليهم ببيته وغذائه ودمه فيصرخ مؤلم القلب

اغرفة للمنام هذى ؟ ! أم هى منفى به نفيت ؟ !

يكاد يجزم بأنها قبر لولا بردها القارس أيام الشتاء وحرها المحرق اللافح فى الصيف اذن فالقبر خير منها لان ساكن القبر لايحس بما يحس به الصافي وهذه العاصفة من التراب التى تنثر من سقف تلك الغرفة المشؤومة .وهل للصافى غير البؤس والشقاء ؟ وهل توحى له غير اليأس الذى ينقلب تهكما مرا على الاقدار واستخفافا بقسم الارزاق ؟ واذن بذلك التهكم اليأس بيت كله لذع وتبكيت

كأن ذاك التراب رزق به من الله قد جيت
أمشى بها خائفا لأني أخشى انخسافا اذا مشيت
لها كشبا كها ثقوب أنظر منهن حيث شيت

هو كمثله الاعلى الخيام يرى فى كل صورة لبؤسه وشقائه حتى فى نجمة الصبح يري أثر البؤس ولوعة الشقاء ومرارة الفراق الحائر فيهتف :

سار الرفاق وأنت منقطع حيران ذو كمد وذو ارق
فى الجو تخبط حائراً قلقاً وتدير طرف العاشق الومق

كما يرى الخيام حماقة الذين يفرقون بين الايام لايرى الصافى فى الايام سوي رسل بؤس ونذر شقاء وكل الايام فى لؤمها سواء والاعياد أشد الايام ايلاما لنفسه فاسمعه يقول :

كل يوم لدىّ مبدأ هم وجهد ومنتهى أشياء
ولماذا أعدكم مرّ يوم ومالى فى أى يوم رجاء
غير أني أستاء فى كل يوم فجميع الايام لى أعداء
ثم أنى ازداد فى العيد هما اذ أرى كيف تسعد السعداء

لايرى فى نومه سوى صورة الموت ولايشاهد فى أحلامه سوى الشقاء فطيف البؤس يرافقه حتى فى أحلامه يرى الموت يفضل نومه لان نومه بزعجه باحلام كريهة

رجل هذه نظرته للحياة ماذا عساه أن يرى فى العالم غير الشقاء وهل يستطيع أن يبصر غير

خيال البؤس يمشى لجانبه كأن بينهما رحما وهل يستطيع مثل هذا الرجل أن يبصر فى العالم سروراً وهو يظن أنه لو قدر الله أن يخلق الشقاء شخصا لكان احمد ثانيا ، ولكان هو الصافى النجفى اذاً فلا لوم عليه ولا تثريب ان هو خاف من أن يسرى سوء حظه الى شريك حياته لا لوم عليه اذا عزف عن الزواج ورضى الوحدة وان كان يرغب فى الابوة ويستلذ نداء الاطفال ، ويستعذب مناغاتهم ويتحطم قلبه ليوم يسمع السيدة تناديه يا أبى

دعتنى أباً ظلما وان عشت هكذا   سأدعى غداً جداً بدون حفيد

كأنى أطوى من حياتي مراحلا   ولم أر من فرق بين جديد

لخوفه من أن يورث ابنه أدواءه يكبت عواطفه ويرضى بان تطعنه الحياة فى أعمق أعماق قلبه ويكتفى بان يعمد نفسه بنار الحرمان تلك النار التى تزيل عن النفس ادرانها وترفعها الى ذروة التسامي النبيل فاذا بنفسه تسيل شعراً فيه سلاسة الماء وسر الخمرة ، وروعة السحر ، وعذوبة البيان ، ورقة العاطفة ورصانة البلاغة !

ينظر حوله فيرى رياء الاصدقاء وكذب الصداقة فيبتسم هازئا من حماقة الناس ومن خداعهم لانفسهم فينطق بما توحيه اليه روح الخيام التى تحل فى جسمه وبما يوحيه اليه الفقر الذى لا يبقى للرجل صديقا

اكلفهم ان رمت تشتيت شملهم   لانى متى كلفتهم هربوا منى

فهو يرى مع أبى العتاهية أن الناس يهربون من الفقير ولو كان نبياً

قال أبو العتاهية وتبعه شاعرنا فى رأيه :

لو رأى الناس نبياً   سائلا ما وصلوه

وهم لو طمعوا فى   زاد كلب أكلوه

اذاً فالصراحة على ما تجلب من النقمة والوحدة والشقاء خير من الرياء والمخاتلة . أجل عاد الصافى شقياً بعد أن خبر تحجر قلوب الاصدقاء وعلم أن كل واحد منهم لا يقصد من صداقته سوى مصلحة نفسه . رجل يتهم الناس بالشقاء ويجربهم فيراهم منافقين حقا لا تطيب له صداقة فله أن يثور ويكفر بالصداقة والاصدقاء وله أن لا يرى إلا خيال البؤس وهو يرى جسما مهدماً ، ووجها دميا ، وكيسا فارغا وحياة سخيفة تطغى عليها المادة فتجتاحها أصولا وفروعا حقه أن يرى الشقاء أتبع له من ظله وان يري نفسه كبرزخ بين الاحياء والاموات وأن لا يرى فراشه مأوى الراحة بل سجلا لاحزانه وخليق به أن يعيش شقيا بعد أن خبر الحياة ونفاق أهلها

قد حدست النفاق فى الخلق قدما ثم جربتهم فلم يخط حدسى
لي فكر قد خالف الناس حتى خلت أن قد أصيب بمس
فكأنى الانسان مابين وحش وكأني الجنى مابين انس

هذه نظرته للحياة وهذه هى الاحوال التى تحيط به . رجل هذه نفسيته يجب أن تكون حياته قطعة موسيقية محزنة وهل يستطيع أن يسر رجل يسير بهذا الكون من دون غاية ؟

أسير بهذا الكون من دون غاية وأرجع بعد الفكر جم التحير
أطالع سفر الكون فى كل لحظة فحتى متى درسى لسفر مكرر

رجل لايقنع بظواهر الاشياء ولكنه يريد حقيقتها المجردة لا يستطيع أن يسر :

أهوى الحقيقة من لباس الوهم تبدو عارية
أهوى الديانة لاتكون بثوب مكر خافيه
أهوى الصداقة للمجاملة الدنية قالية
والقبح خير من تجمل ذات دل غانيه

حقاً انه لن يسر وهو يقول انه لو غربل أصدقاءه لما بقى له منهم على كثرتهم سوى الغربال فما قيمة الاصدقاء لايفيدون فى حين الحاجة وماقيمة الحياة بلا أصدقاء وما قيمة الحياة كلها خداع فى خداع وغرور فى غرور حقا ان فلسفة الصافى عميقة وجديرة بالتأمل ولكن ترى أى مهزوم فى الحياة يجد غربال صداقته غير مايجد الصافى أى منكوب يجد فى غربال إخائه أكثر مماوجد الصافى لو غربل أصدقاءه واخوانه

لو أننى غربلت أصحابي معاً لم يبق لى منهم سوى الغربال

هذه هى الحقيقة المرة ولكن أليست الحياة فى ذاتها وهم الاوهام ؟ ومع هذا فنحن نقبلها ولا نود التخلص منها فلماذا نطلب من الوهم حقيقة ؟ لماذا يطلب أبناء الاوهام حقائق ؟ فما دام الصافى يطلب المستحيل إذا فليتعذب وليشق وليبتئس وليتمزق قلبه نقمة على البشر وليثر ماشاءت أعصابه المتوترة أن يثور هذا الذى يرى نفسه غريبا بين أهله ومواطنيه لا شغل له إلا نظم الاشعار يسرى بها همومه وآلامه

فقلت شغلى الشعر فى نظمه أدفع عنى جحفل النائبات

ولم لاتنفطر مرارة رجل يرى نفسه ميتا قبل الممات

أجبته لا شغل أحيا به انى امرؤ قد مات قبل الممات

وهل الحيرة والارتباك شيء من السرور والعزاء واللذة النفسية ؟

تعبت فى مفاوز الشك نفسى   هل يقين فى ظله نستريح

يريد يقينا يطمئن اليه ينسى فيه همومه وآلامه ولكنه راغب عن الايمان والتسليم فمن أين العزاء ومن أين لنا اليقين بلا ايمان ؟ عندى أن الرجل يستطيع أن يكون أسعد حالا لو أفاض الله عليه شيئا من بلسم الايمان ولكنه حائر يرى فى الخريف صورة لحزنه ويأسه وذبول آماله وعبوس أيامه فهو يعشق الخريف الحزين لانه يرى فيه صورة لذبوله ونحن لا نعشق سوى أنفسنا فى كل شيء ونسخط على مايغاير نا فهذا الربيع الباسم ذو المناظر الساحرة الخلابة عدو للصافى والحزين عدو لكل فرح مسرور. من حقه أن يعادى المسرات ما دامت الهموم تساوره ليلا نهار يحق له أن يقول « ليت أمي من قبل كانت عقيما ! . . . . »

لو كان همى عاقلا أقنعته   لكننى صادفت هما أهوجا !

فهذا الهم الاهوج الذي لايقنع ولا يفهم إلا الاستبداد بصاحبه هو الذي جعل حياة الصافى بؤسا دائما ولكن بؤس الصافى ليس من ذلك النوع البا كى المخنث المتلاشى الاعصاب كما قلنا ولكنه بؤس البطولة فلا يواجه مصاعب الحياة وهجمات القدر ذليلا خاضعا ولكنه يلاقيها برجولة جبارة لا تعرف التخنث والخشوع فاذا به يسمو الى أوج الجبروت النفسية واذا بنا نرى فى شعره طابعاً آخر وهو طابع الجبروت النفسية

طابع الجبروت النفسية

ففى قصائده — حياتى ! حياتي تلك القصيدة الخالدة التى تمثل أعز النفوس وأعلاها، الهواجس الثائرة الفرس والعرب ، خيبة الشعب ، العزم واليأس ، واد بناتي، صورة حية للرجل الذى سحقت قلبه المصائب وحطمت قشوره النكبات فعاد ببطولة ثائرة ورجولة متمردة لاترى غير نفسها ولا تؤمن بغير وحيها حتى انه ليحتقر العلم الذى يجر الى التخنث

بعض المعارف للتخنث دافع   ان لم يقارنه وغى ونضال

ومن أقواله التى تدل على جبروت النفس قوله

ان ذلى موتى وعزى حياتى   ما أنثت للعدو يوما قناتي
أنا فرع من دوحة المكرمات   أنا من أسرة كرام أباة
لايرون الحياة فى الذل أبقى

لئن أضعفت جسمى الخطوب وحملها   فما أضعفت نفسى ولا أوهنت عزمي
كأنى خيال حين أمشى من الضنى   وليث عرين حين أسطو على خصمي

كأنى مليك بالفخار متوج وليس له جند سوى البأس والحلم
وأى مليك عاش حرا كعيشتى وهل مجد أرباب العروش سوى وهم

فهموم الحياة وآلامها طهرت نفسه من كل ضعف وأنوثة فاذا به رحيم ثائر يطلب الرحمة لكل مظلوم ويثور علي كل ظالم ، ولكنه لايطلب الرحمة بدموع النساء ، وصرخات الاطفال ، وذبذبة الكلاب لان تربته قد زكت ونفسه عن توافه الدهر سمت فاذا بعظمة نفسه تتدفق قصيدة خالدة ترى فيها اصلب النفوس وأقواها وأبرز الشخصيات الشعرية وأمتنها !

قد زكت تربتى فاينع غرسى وسمت عن توافه الدهر نفسى
مارست منى الخطوب فؤادا لم يلن للقضا فعادت بيأس
لمس الدهر من فؤادى حديدا يتلظي فلم يطق بعد لمسى
نزهتى شارع المجرة ليلا ومع النيرات سيرى وأنسى
يرغب البدر أن يكون نديمى والثريا نور تصبح عرسى
كلما زادنى الزمان عذابا زاد فى منعتى فعاد بنكس
عفت للعز كل لذات دهرى وترهبت للعلا لا لقدس
وانا كالنبى انقل وحيا ثم يجرى كالدر من فوق طرسى

ما اعظم نفسا ينبثق منها هذا السلسل الصافى ولله الاحزان والمصائب اذا نزلت برجل ليس فى نفسه ناحية ضعف انها لترفعه فوق طبقة البشر

انظر الى ابياته يوم جرح الفرس عزته القوميةوهو غريب الدار بترديدهم ماقاله الفردوسى فى الشاهنامة على لسان كسرى حين ورد عليه الوفد العربى يدعوه للاسلام: بلغ بالعرب بعد شرب حليب النوق واكل الضباب ان صاروا يتمنون تاج كسرى. تف عليك ايها الفلك الدوار تف! اسمعه يقول

منحناكم حرية بسيوفنا وكنتم ارقاء لمن ملك الحكما
دككنا عروش المستبدين فيكم فلم ترتضوا والرق يستعذب الظلما
عرضنا لكم دينا به الناس تستوى وما خص بالتفصيل عربا ولا عجما
فانكرتم دين المساواة خسة ولما انتضينا السيف آمنتم رغما
صممتم فاسمعناكم الحق بالظبا وللسيف قرع فى الوغى يسمع الصما
فلم يستطع ان يغسل الدين عنكم طباع جدود تعبد النار والفحما

ها هي ذه العزة المجروحة تتحول نارا ، وتتحول إباء يسامي السماء ، وتتحول وحيا ينطق له شاعر ان هو الا كومة من العظام يضمها جلد استحال فلا تعرف له لونا تتردد فيه نفس هي الاباء وهي البطولة وهي التمرد !

نفس تأبي عليه الخضوع والتذلل حتى للاسود وكيف يخضع رجل تكونت شخصيته بوحي أبي العلاء المعرى وعمر الخيام

ان غصبت منك الاسود لقمة فاستخرج اللقمة من فم الاسد

اذا فلا غرابة ان يرى الشكوى عارا كما يراها القائل

ولا تكثر الشكوى فلم تر ذا نهى شكا وأخو الجهل الذى ما أرعوى عوى

ولكن أين هذا من الصافى النجفي ؟ فهذا يجيز الشكوي ولكن على قلة أما الصافى فيرى العار كل العار فى الشكوي وانه مؤمن ان لاعدل فى هذه الحياة وان وجد فهو أصم أعمى فلا علاج لصمم العدل وعماه سوى الاكتحال بمرور السيف والاقتطار بقطرات الدم

لاتشك للعدل ضيما واشكه لظبا فالعدل أصبح فى الدنيا بلا أذن
لم يعطك العدل شيئا وهو ذو منن والسيف يعطيك ماتهوى بلا منن
ما فى المدينة من عدل تلوذ به فالعدل فر الى الصحرا من المدن
ضعف الخراف دعا ذئب الفلاة لها فالذنب للضعف ليت الضعف لم يكن

انظر الجبروت النفسية فى هذا العتاب الذي يزفه الى ربه في قصيدة رزقى

لم تهبنى يارب رزقا سوى الحس بدنيا مملوءة آلاما
وضعيفا خلقتنى لم تدع بي غير جسم يكابد الاسقاما
وحيدا تركتنى دون خل غير بؤس على ولأى داما
وخطوب الحياة لم تبق منى غير عزم يكافح الاياما

ألا تلمس فيه عتاب المتمرد وتسليم المؤمن وثورة الملحد ؟ ! ألا تكاد تجزم بأن هذا الرجل العاتب على ربه المحتقر لهموم الحياة الهازىء بصروف الدهر ألا تكاد تجزم بأنه رجل كز العاطفة صخرى القلب؟ ولكنك تظلم الصافى فى هذا الحكم فالرجل شديد العطف على الضعفاء لانه يرى فيهم صورة بؤسه ولا يرى فيهم صورة لثورته وقوة نفسه فهو يأسى لهم ويحزن فهل وراء عطفه على الفلاح عطف. هل وراء عطفه على الحشرات والحيوانات غاية فهو يرى من القسوة ايذاء الحشرات وهذا أثر من آثار المعرى حتى انه لعطفه علي الحيوانات توهمته الفئران أضعف من القط وحتى ظن القط أنه صديق له

يلاقى الناس مضطربا نفوراً ويلقـاني بقلب مطمئن

لشكه بالبشر ينكر جنسيتهم :

فأدعو ليس هذا الجنس جنسى ومابى خلة للنـاس تدنى

وكم غانيت منهم دون جرم إذا ما أفسدت فى الكل ظنى

ماذا أصف لك من عطف الرجل على اليتيم وعلى الطفلة السائلة فأسمعه يقول

أودى الردى بابيه قبل فطامه فما المذلة فى حليب المرضع

إلي أن يقول

لهفى لطفل لايزال يعيش فى أمل بكف الحادثات مضعضع

ماذا ترانى أرى لك من هذه القصيدة التى تدل على رقة العاطفة وإن كانت لاتشبه قصيدة اليتيم فى ديوان الرصافى ولكنها تدل على عاطفة حيه . أسمعه فى قصيدة السائلة

تهتز من برد ومقلتها للحزن تمطى شعلة حمرا

بين الورى أضحت وخالقها حيرى فمن ترتجى الخيرا

لقد كان يحق له وقد سحقت الأيام قلبه أن تتحجر عواطفه فلا تشعر بآلام الناس ما دامت ارتقت عن أن تشعر بآلامها الخاصة ولكن الصافى ليس بالرجل الجامد العاطفة

رأينا ناحية البؤس وناحية الجبروت النفسية وفى خلالها شاهدنا ناحية العاطفة العامة فبقى علينا أن نعلم هل كان هذا الرجل يشعر بالسعادة والغبطة وهل كان يبتسم كما يبتسم الناس ؟

قد يتصور القارىء أن رجلا هذا شكله لا بد له من أن يقضى حياته يائس الحزن متزمت الرصانة ولكن لا . فعلى كل هذا ليس الصافى بالشقي فهو سعيد فى أحزانه وما قيمة الاحزان اذا رزق الرجل نفسا كبيرة أبية كنفس الصافى أجل ما قيمة الاحزان ولماذا تنقلب تلك الاحزان ابتسامات ساخرة هازئة ولماذا لايضم فى قلبه الكبير السعادة والشقاء ولماذا لايصوغ من قلبه المحطم مبغضا لايسيل عليه سوي ينبوع من التهكم اللاذع . ففي قصائده أمير مفلس ، الخلود الزائف ، والنائب الخائن ، والاشراف ، والبعوض ومستشفى وطنى وأماني وطريقة الجدل القديمة سخرية هائلة فهو يتهكم حتى على نفسه هناك التهكم على حور الجنة وعلى أنهار العسل التى تجرى فى الجنة يتهكم علي الحور وإن كان شديد الشوق اليهن يتهكم علي أنهار العسل وان كان ميالا إلى الاغتسال بها وكيف لايتهكم وهو تلميذ المعرى وخليفة الخيام

أهوى عناق الحور فى جناتها والاغتسال بنهر شهد ما أسن

فهناك أ كرع ما أشاء بشهده ومتى أحس حرارة تشوى البدن
يمت للألبان نهراً مفعما لأبرد الاحشاء فى شرب اللبن

إلى آخر ما جاء فى هذه القصة التهكمية البارعة التى توهم الساذج أن قائلها ليؤمن ايمان العجائز بحور الخلد وولدانها وطوباها وأنهارها فاذا بها تهكم سالق وتنكيت غريب يمت الي تهكم المعرى والخيام بأعظم الاسباب وكيف لايسخر من الجنان وحور الجنان مادامت حور الارض تأنف من عناقه ؟ ننتقل من تهكمه على الجنة وحورها وينابيع خمرها وعسلها ولبنها الي تهكمه على النائب الخائن وعلى الغرب الذى هجر المسيح فى بلاده وجاء يبشر به فى الشرق

تركوا المسيح وروجوه بينكم إذ فيه يمحق بأسكم ويزال
لو كان هذا الغرب يتبع فى الوغى نصح المسيح لنا له اضمحلال

فيظهر أن الرجل لايعلم مايهب المسيحى لاتباعه من البطولة النفسية الحقة والرجولة الصادقة أما الضعف الذليل الذى يظهر على أتباع المسيح فذلك لعدم فهمهم ناحية الشجاعة الادبية التى يجب أن يتحلى بها المسيحى الحق . من المحزن حقا أن يظن الكثيرون أن الدين المسيحى رائد الضعف والجبن والتلاشى مع أن أسمى بطولة نفسية يمكن لمبدأ أن يهبها لاتباعه انما هى البطولة التى يهبها الدين المسيحى لاتباعه أما إذا كان ساسة الغرب قد اتخذوا من الدين المسيحى ذريعة لاستعباد الشرق فتلك جريمة السياسة لا جريمة الدين ولا هى جريمة المسيح وتعاليمه . أن تعاليم المسيح ضد كل عبودية وضد كل استعمار وضد كل استرقاق ولكن الويل للذين صوروا المسيح ودينه بمثل تلك الصورة الشوهاء التى يراها الصافى وأمثال الصافى ! . .

يهزأ بمن يطلب الخلود لانه يرى أن لاخلود فى هذه الحياة فالخلود بنظره وهم فالفاتح لم يخلد غير وحشيته وحيوانيته . الشاعر لم يخلد سوى بؤسه وشقائه والزوجان لم يخلدا فى بنيهما غير لعنات تنصب على قبريهما فما قيمة هذا الخلود الزائف ولم لايسخر الصافى من هذا الخلود الكاذب . وهب مايتوهمه الناس خلودا حقيقيا فما قيمته لرجل أضحت عظامه فى الثرى حطاما اذن فلا خلود إلا للحقيقة الازلية

اسم للحق انما الحق حى خالد الذات ماله من منون

اسمع تهكمه على المستشفى الوطنى وعلى اولئك الناس الذين أساؤا الى الوطنية بكل ما يعلنون عن بضائعهم الزائفة واعمالهم السخيفة :

ومستشفى متى يدخل اليه مريض يسترح من ذى الحياة
كأن به لعزرائيل جندا تميت الناس من قبل الوفاة

يسافر منه للاخري دواما قطار بالعشى وبالغداة
يقلك دون رسم أو جواز فتعبر للخلود بلا اناة
يجازى بالردى الجانى فماذا ترى حكم الاطباء الجناة

فهذا هو التهكم المر اللاذع وهذا هو الوصف الدقيق الذى يصور لك المعاني شخوصا تروح وتجىء وهل وراء تهكمه تهكم وهو يشبه الاشراف بالبعوض وهو يدغدغ أميره المفلس وهو يهزأ بشيوخ الطريقة وبطريقتهم العقيمة فى الجدل .

ياشيوخ يسعون فى البحث لكن قداضلوا فى البحث عنه الطريقه
الحجى سائر الى الحق لكن شوشت سيره شيوخ الطريقه
بحثكم يشكل البديهى حتى ينكر البدر فى السماء شروقه

الي نهاية ماجاء فى هذه القصيدة البارعة من غمزات يهزأ ويثور عندما يري البلادتباع بالالقاب وبزاهي اللباس يهزأ ويثور ومن الغريب انك تلمس فى ثورته سخرية وفى سخريته ثورة أيضا

خدعوا جندنا بزاهي اللباس واستمالوا أشرافنا بالكراسى
ان سراق موطنى قد ترددوا بلباس الحفاظ والحراس
خدعوا الشعب ثم أردوه ميتا بفم باسم وقلب قاسي
ساسة الغرب تخدع لخصم لكن خادع الشعب فى بلادى سياسى
ادعوا نصره وهم قتلوه ألدى القوم أوجه من نحاس

ماذا أقول لك عن دعابته المرة لوجهه وعن دعابته للحسناء التى وجد وجهه منطبقا على وجهها فى الرسم وعن دعابته الماجنة للبرغوث العاشق تلك الدعابة الطريفة التى لولاها لكنت أول الداعين لوضع ديوانه بين أيدي الطلبة فاسمع تهكمه على نفسه :

لو كان وجهي بكفى القيته فى الجحيم
اذ لم يكن وجه سعيد بل وجه نحس وشوم
لو كان ربى يرانى طيرا يرانى كبوم
ابيع جسمى بدين لو صح بيع الجسم

تخال هذا الرجل الذى القيته شقيا ورأيته ثائرا متمرداً هازئا متهكما من الجنة ومن حور الجنة ومن انحصارعسلها وخمرها ولبنها ، هذا الرجل الشاك تخاله ملحداً لايدين بدين كلا ثم كلا فهو

يهزأ بالخرافات التى تحوم حول الاديان فطريقته فى دينه طريقة استاذه الخيام يريد حقيقة الاديان وغايتها فيصرخ

لب الديانة ضاع فى عاداتنا أسفا لحق بالزخارف ضائع
ياجارحا باسم الديانة رأسه جهلا وقارع متنه بمقارع
ماكان سفكك للدما عمداً سوى نصف انتحار عن جنون دافع
أكداس وهم فى شوارع بلدتى أنجود ريح الغرب لى بزوابع
رأيي ورأيك واحد لكنما هذا التخالف بيننا لمطامع
وجه الخرافة سافر لكنما وجه الحقيقة مختف ببراقع

اذاً فهو جد حريص على الدين جد حريص على جوهره فاذا نقم فانما ينقم على « انكسارية الدين » انما ينقم على تلك العمائم وهاتيك اللحى السابغة وما تروج من سخافات وخرافات باسم الدين انما ينقم على انهار العسل واللبن والخمر تصطحب امواجها فى السماء بينما أهل الارض يموتون شوقا الي قطرات منها يرى أن الدين قائم علي تزكية الضمير وهذا هوجوهر الدين

سيتفق الورى فى الدين يوما اذا دانوا بتزكية الضمير
قد اختلف الورى دينا ولكن تساووا فى المآثم والشرور

اذاً فهو مؤمن بالدين هذه الطوبي الارضية مؤمن بها ولكن بلا زخارف ولا تقاليد ولا طقوس طوباه تقوم على اساس تزكية الضمير وتزكية الضمير ليست فى حاجة لطقوس وما قيمة طقوس الدنيا لرجل فاسد الضمير مدخول النفس

ننتقل من رأيه فى الدين الي رأيه فى الحب والهوى . انه يرى الحب شقاء وانه خير للناس أن لايجربوه ولكنه يعود الى مناقضة نفسه بنفسه فيقول

لم نجد فى الوجود من حيوان ترك الحب قلبه مكلوما

اذاً فهو يرى الذين لايحبون حيوانات سائمة ! .

أما الخمرة فهي جمان الحياة ولذها فى رأيه وله أن يرى هذا الرأى وهو يعشق الخيام ذاك العشق يحب الخمرة ويخاف من عدوانها عليه يحاول أن ينجو من العقل الواعى لانه عقال المسرات فهو معجب بالاجنحة التى تعبرها

الخمرة لشاربها لايريد أن يسمع فى الخمرة وعظ الزاهدين الذين يحرمونها فى الارض ويحلونها فى السماء فيريدون أن يحولوا السماء خمارة ويريدون أن يجعلوا البارى عز وجل خماراً لا هم له إلا تعدد

أقداح الشرب والمعربدين . أما الصافى فمع كل غرامه بالخمرة فلا يريد قربها لئلا تجنى عليه

حبيبتى الراح ولا اقربها أخشى الردى منها وأخشى القلي

هاقد انتهينا من الخمرة ومن رأيه فيها . فلنر رأيه فى المدارس انه يدعو الى الصناعة ويلح بلزوم نبذ العلوم النظرية آفة الشرق وحقه أن يدعو الى احتقار العلوم التى تتخذ الوظيفة غاية لها كما هي الحال عندنا

خير المدارس ما تخرج فتية من بينها الحداد والنساج

لا ما تخرج معشرا كل لدى توظيفه لتذبذب محتاج

لم يقتصر الصافى في شعره على ماتقدم ولكنه وصاف ومحلل للعواطف يكاد يكون مصوراً ونقاشاً ففى قصائده التهكمية البارعة تجد الوصف والتصوير معا فى العدالة فى المستشفي الوطنى وفى اليتيم والطفلة السائلة والفلاح وصاحب المقهى وصف وتحليل كله روعة وابداع فى وصف غرفة وكرة القدم وغناء السواقى الحنين الى الطبيعة جمال ووصف رائع ، ولعل أجمل مافى شعره تلك النفسية التى لا تتملق ولا تنظم الشعر للتكسب فما رأيت فى أشعاره والحمد لله قصيدة يمدح بها منصبا . ولا شاهدته يمثل شعراء الندب والرثاء ماذا أقول لك عن صدقه وصفاء طبعه فى قصيدته وأدنياتي حيث يصف موقفه الحائر وبؤسه المتألم وفقره الذليل الذى أرغمه على أن يهمل قصائده ويدعها موؤدة فى صدره وفى ظلمات الاوراق حقاً اني لا أريد أن أشوه جمال هذه القصيدة بنقل بعض أبياتها فالرجوع اليها فى الديوان خير للقارىء لأنه يقف علي صدق الرجل حيث يقول واصفا غايته من شعره

كل قصدى من نظم شعرى ارضاء شعورى وان دعا لاضطهادى

واذا ما نشرته لم أحاول فيه غير الاصلاح والارشاد

وفى النهاية فكيف نجد الصافى ؟ ان الصافى غريب الاطوار شاذ الطباع وأجمل مافيه هذه الفوضى التى تأبى الترتيب فهو لا يحب التنظيم ولا يميل اليه حتي أشعاره لا يحبها مهذبة بل يرسلها ارسالا على سجيتها لهذا كثر فيها مايصطدم بالترتيب الفنى ولعلنا عارضون لهذه الناحية عند ما تسمح لنا الفرص . ولعلك بعد دراسة ديوانه تتفق معى على أثر قراءة أنغامه المشوشة فتجد الرجل يكاد يجيد فى الفوضى اكثر مما يجيد في التنظيم ، وتكاد تقول انها فوضى تنظمها الايام شعرا ولكنه مع ذلك قد خط لنفسه فى موجات أمواجه شعر الخلود .

عجلون روكس نائر العزيز

القرية المصرية

لسلامة موسى

جوالى سنة ٥٥٠ للهجرية قدم الى مصر رجل أندلسي يدعى ابن سعيد . فقال عن ريفنا : « ولقد تعجبت لما دخلت الديار المصرية من أوضاع قراها التى تكدر العين بسوادها ويضيق الصدر بضيق أوضاعها »

وقبل ذلك وصف ريف الاندلس فقال . « ومما اختصت به (الاندلس) ان قراها فى نهاية من الجمال لتصنع أهلها فى أوضاعها وتبييضها لئلا تنبو العيون عنها . فهى كما قال الوزير بن الحمارة فيها :

لاحت قراها بين خضرة ايكها   كالدربين زبرجد مكنون

***

وهذا الذى قاله ابن سعيد عن ريف مصر وريف الاندلس قبل ٨٠٠ سنة تقريبا لايزال يقول مثله جميع الذين رأوا الريف الاوربى وعرفوا القرى المصرية . فان القرية هناك جميلة وهى عندنا قبيحة

ولكن يجب الا نعزو هذا الفرق الى البراعة والذكاء عندهم أو الكسل والغباء عندنا . فان الطبيعة نعنىطبيعة المناخ التى قررت الجو البارد للاقاليم الاوربية والجو الحار لمصر هى التىجعلت العناية بالبناء هناك والاهمال له هنا . والغرض من البناء هو كالغرض من الملابس أى الوقاية من البرد . والاوربى يعنى بملابسه ويتخذ الصوف ومن المستحيل عليه ان تطأ قدمه الثلج فى الاقاليم الشمالية وهى عارية . ولكننا هنا نكتفى بأقل اللباس

وهكذا الشأن فى منازل القري . فان توالى المطر هناك يجعل المنزل الذى يبنى بالطوب الاخضر كوما من الطين المنهار بعد أيام . أما عندنا فان المنزل يعيش ٣٠ أو ٤٠ سنة بهذا الطوب لان قلة المطر وجفاف الهواء يبقيان عليه . ومن هنا اضطر الاوربى — كما اضطر الاندلسى — الى أن يبنى منزله القروى بالحجر أو الطوب الاحمر كما اضطر الى أن يفرش شوارع القرية بالحجر لئلا توحل فيرتطم فيها السائر . ومن هنا جمال القرية الاوربية التى بنيت بالحجر لكى تقاوم المطر وقبح القرية المصرية التى لم نبال أن نبنيها بالطوب الاخضر . فان الجو الذي أجبر الاوربيين على اتخاذ الصوف للملابس هو الذي أجبرهم أيضا على اتخاذ الحجر للمبانى

ولكن الطوب الاخضر فى ذاته لايعيب القرية . فقدكان قصر فرعون نفسه يبنى بالطوب الاخضر . وهذه الكدورة التى وجدها ابن سعيد فى قرانا لا تعزى الى هذا الطوب بل الى طلاء الطين الذى يكسوه . والطوب سواء أكان أخضر أم أحمر كدر ما لم يكس بطلاء نضر

ولكن قريتنا تكدر العين الآن — كما كدرت هذا الاندلسى — بأشياء أخري أهمها قلة النظافة بل انعدامها . فانها بعيدة بعدا يكاد يكون تاما عن النظافة . فان المطر فى أوربا يجبر الناس على النظافة . اذ تستحيل الحركة فى شارع موحل . ولكن الجفاف عندنا قد يسر علينا الاهمال أو بعضه على الاقل

ومما يزيد هذا الاهمال أن معظم المالكين من الاغنياء لايقيمون فى الريف بل يسكنون المدن فاذا انفقوا فانما ينفقون بل يسرفون فى شراء الوان مختلفة من الترف لمنازلهم فى المدن أما منزلهم فى الريف فلا يعنون به لانه لايزيد عندهم على مخازن الغلال

ولا تكاد تعرف هذه الحال فى أوربا . فان معظم الاشراف من الانجليز قد نشأوا فى الريف ولكل منهم قصره . وكبار الملاك وصغارهم فى فرنسا يقيمون فى قراهم او عزبهم

وكذلك الحال فىالمانيا . وايجار الارض ضئيل لايجرىء مالكا على أن يترك أرضه ويعيش منه فى المدن . أما عندنا فان علو الايجارات الزراعية يشجع المالك حتى ولو كان صغيراً على أن يترك أرضه وينتظم فى طبقة الاعيان فىالمدن . وما دام أعيانالقرية لايعيشون فيها فانها تتأخر ولا تكاد تبلغها تيارات الحضارة . لان للحضارة — كما لكل شىء آخر تقريبا — أساسا اقتصاديا . فاذا عاش الاغنياء بعيدين عن القرية ولم يبق فيها غير الفقراء بعدت عنها الحضارة فلا البيت النظيف ولا الاثاث الفاخر ولا الزينات ولا الملاهى التى نراها فى المدن تستطيع أن تنشأ فيها . فان الفلاح الاجير الذى يتألف منه معظم السكان فى القرية لا يمكن لفقره أن يجذب اليها شيئا من متع الحضارة

ومن هنا الحال السيئة التى تسود قريتنا

* * *

ولنضرب مثلا على هذه الحال

ففى ايطاليا والمانيا وفرنسا واسوج وغيرهن من الاقطار جمعيات (وأحيانا حكومات) تفتش على الصبيان من الجنسين فى المدارس . فان وجدت صبيا أو صبية أو فتى أو فتاة قد بدا عليهم الضعف وخشى عليهم من عدوي التدرن (السل) او أن هذا التدرن قد شرع فىالقاء بذوره فيهم فانها تنقلهم فرادى الى منازل الفلاحين حيث يؤجر الفلاح على اطعامهم وأيوائهم فى منزله

أجرا صغيرا يتفق وتكاليف العيش الساذج فى القرية . وهو يعرف ان النازل عنده مريض او كالمريض فهو يحتاط منه ويقدم له الطعام الوافى الساذج . وبهذا تحتاط الحكومة وتتوقى تفشى التدرن

ولكن من منا يستطيع أن ينصح لصبي أو فتى يخشى عليه من التدرن او قد نشب فيه هذا المرض ، بان يقيم فى بيت فلاح فى قرية غبراء كدرة ونحن نعرف أن هذا البيت خلو من المرافق الصحية . خلو من النوافذ . خلو من الاثاث ؟ اننا لو نصحنا لمريض أن يفعل ذلك لكنا بمثابة من يطلب لمرضه التفاقم لا الشفاء . ولكن هذا المثل يخيل لنا الفرق العظيم بين القرية المصرية والقرية الاوربية

* * *

وقد قلنا ان المطر هو السبب الاصلى للنظافة السائدة فى القرية الاوربية . ولكن يجب أن لا نبالغ فى الاكبار من شأنه وتعليل الرقى الريفى فى أوربا به وحده . وليس شك أنه كان السبب الوحيد للفرق أيام ابن سعيد الاندلسى الذي ذكرناه فى أول هذه الكلمة أى قبل ٨٠٠ سنة . أما الآن فان هناك أسبابا أخرى تعمل لرقى القرية الاوربية . أولها ان الفقر ليس شديدا هناك كما هو عندنا . والمنزل هناك يحتوى لهذا السبب على وسائل الحضارة الحديثة . وسبب آخر هو الذي أشرنا اليه من أن الاغنياء والاعيان الذين يملكون الارض فى الريف يعيشون فيه وهم يتأنقون أو — كما يقول الاندلسى — يتصنعون فى بناء منازلهم

ولكن الفقر هو الآن أهم الاسباب لكدورة القرية او قبحها . فانه السبب الاصلى للقذارة الشائعة فيها كما هو السبب للامراض التى تفتك بسكانها كالرمد والبلهارسيا وقد اتجه مجهود الحكومة فى الريف منذ اكثر من مائة سنة نحو ترقيته بزيادة الغلات فقط . فشقت مجاري المياه ثم بعد ذلك شقت المصارف وعممت زراعة القطن وكل ذلك لكى تزيد غلة الارض . ولكن هذا المجهود لم يتجه نحو ترقية القرية ولذلك فان سحنة الارض قد تغيرت منذ مایة عام ولكن سحنة القرية لم تتغير . وهذه الحال تجعلنا نتساءل : هل خلقت الارض لخدمة الانسان أم خلق الانسان لخدمة الارض وأيهما يجب ان يكون أولى بالعناية فى نظر وزارة الزراعة ؟

لقد انفقنا على الارض ملايين الجنيهات فماذا انفقنا على القرية ؟ وفى وزارة الزراعة برامج عن اصلاح التربة وانتقاء البذور وتجربة بعض النباتات . وفى وزارة الاشغال برامج عن الرى وتجفيف المناقع واستزراع القاحل . ولكن ليس فيها برنامج عن منزل الفلاح و نظام القرية

* * *

ومن أغرب ما نراه فى بلادنا أن تعنى الحكومة بدكان البقالة أو الحلوى فتشترط شروطا لجدرانه ونوافذه . ولا تجيز لاحد ان يفتتح مصنعا صغيرا ولو كان كل ما فيه من عدد موتور لا تبلغ

قوته حصانا أو نصف حصان إلا إذا حصل على رخصة وإلا إذا عوين المكان للمطابقة بينه وبين الرسم الذى نظم على أساسه ثم تنفذ اليه المفتشين كل عام للمعاينة

تفعل الحكومة كل ذلك فى دكان للدندرمة مثلا ولكنها لا تبالى أن يبنى « منزل » للفلاح بلا مرافق أو نوافذ . كأن المفروض فى سكانه أنهم لن يتبرزوا أو يبولوا . أو عليهم اذا فعلوا أن يحفروا كالقطط . وكأن هذه الحضارة الحديثة بشأن الصيانة الصحية لم تعرف ولم تدخل بلادنا أو كأن النوافذ والزجاج من المخترعات الجديدة الأنيقة التي يجب ألا يعرفها فلاحنا لئلا يتعلم النعومة فالترف

* * *

ان بناء المنازل الحسنة هو أجمل الاعمال فى العالم وهو أبر الاعمال حين تقوم به الحكومة ولا تقصد منه الى ربح كما تفعل الحكومة الانجليزية التى انفقت هى والمجالس المحلية والشركات التى تساعدها ما ينيف على مائتى جنيه لهذا الغرض النبيل

ويجري التجديد فى أوربا هذه الايام أي التخفيف من العطل بطريقين الأول هو بناء المنازل والثانى هو شق الطرق وقد قامت ألمانيا وبريطانيا بالعجائب فى هذين العملين وأخذ الريف حصته الكبيرة منهما

* * *

لقد قامت محاولات مختلفة ابناء المنزل الريفى للمالك الصغير أو الفلاح الأجير. وقامت جريدة السياسة باحدى هذه المحاولات فى احد المعارض الزراعية التى أقيمت بالجزيرة . ثم قامت الجمعية الزراعية بانشاء عزبة انموذجية فى بهتيم

ولكن فى كلتا الحالين زادت النفقات على قدرة الفلاح . ولم يبن الى الآن المنزل الصغير الرخيص وقد فكرت الحكومة قبل أكثر من عام فى انشاء قرية انموذجية ولكنها عادت فرجعت عن تفكيرها

ولم يوجد بعد الغنى — سرى النفس — الذي يرضى بان يؤسس قرية أنموذجية تكون وهى فى وسط الريف كالمدينة الصغيرة يتمتع سكانها بهواء الريف ومتع المدينه. ونحن نسمع عن فورد يبنى المساكن لعماله وينشىء المدن الكبيرة لهم أو ليفرهولم الذي بنى مدينه صنلايت. ولكن الزمن لم يحن بعد لان يكون بيننا ليفرهولم أو فورد مصريان . فان الشعور بحقوق الفقراء ليس قويا

* * *

ويمكن الحكومة أن تدرس الطرق التى اتخذتها الحكومة البريطانية فى تجديد المساكن منذ عقد الهدنة . وأن تصطنع منها ما يلائم بلادنا وقوتنا المالية . فان لنا مثلا بنكا للتسليف الزراعى وآخر للتسليف العقارى . فلماذا مثلا لا يكون لنا بنك ثالث تؤيده الحكومة للتسليف لبناء المنازل أو تصليحها فى الريف

ان مثل هذا البنك كفيل بنشر الحضارة الحديثة فى الريف لانه بالطبع لن يقرض شيئا من ماله إلا بشروط يطلبها فى البناء كتعيين عدد النوافذ وارتفاع الحيطان والمساحة والمرافق

* * *

ولكن بناء المنزل الحسن لا يبنى القرية الحسنة . وقرانا وهى على حالها أونظامها القائم لا يمكن تجديدها بالاقتصار على تجديد منازلها . بل هناك من يعتقدون أننا إذا شئنا التجديد فلا بد أن نترك القرى والعزب القائمة مكانها ونشرع فى البناء فى مكان آخر . ولهذا الرأى قيمته بالطبع . فان الشركة التى قامت ببناء مصر الجديدة لو أنها خيرت بين أن تصلح حى السيدة زينب أو حى القللى وتبنى مكانهما حياً جديداً حديثاً أو تخرج الى الصحراء لتنشىء مدينة جديدة لاختارت الرأي الثانى

ولكن نقل القرى المصرية جملة ليس من الهينات ولا بد من أن نرضى بالترقيع بدلا من التجديد . وهذا الترقيع يمكن بنك أن يقوم به ويختص بالتسليف على بناء المنازل الجديدة

ولكن لا بد لمثل هذا البنك أن يفرض نظاما للقرية أو العزبة التى يراد البناء فيها . ولذلك يمكن أن يعين مستوى خاصا لنظام القرية يطلبه من المجالس القروية . فاذا انتظمت القرية شوارع وميادين وتعهد المجلس بالمحافظة على هذا النظام أمكنه أن يقرض بفائدة منخفضة ٣ أو ٤ فى المائة لبناء المنزل إذ لا فائدة من بناء منزل حسن فى قرية سيئة الوضع متكدسة المنازل حرجة الطرق ملأى بالمناقع

واذن لا بد لهذا المشروع من ايجاد مجلس قروي يبعث فى القرية روح التضامن بين السكان والرغبة فى احيائها وترقيتها . وهذا المجلس يقوم بالتنظيم الابتدائى واصلاح التخطيط حتى لا يكون البناء الجديد عبثا لا قيمة له فى القرية القديمة فالمجلس ينزع العقارات ويشق الطرق ويفتح المنافس الصحية ويغرس الشجر ويصنع الانابيب لمياه الشرب كما يصنع نظاما للمجارى ويردم المناقع . فاذا طلب السكان سلفة لبناء منزل أنفذ البنك مندوبه الى القرية ليرى هل هى أهل للبناء الحسن أم لا . فاذا وافقه نظامها أعطى السلفة وإلا حكم بان القرية لا تزال متأخرة لا تستحق منزلا حسنا

* * *

بهذا يمكن أن نجدد قريتنا هذه القرية التى تبدو فى وسط حقولنا النضرة كالقرحة القذرة . فاننا نسير فى ريفنا ونعجب بجمال الطبيعة فيه ولكننا عند ما نصل الى القرية نشعر بسوء الصنعة وقبحها . ولا يستطيع أحد منا أن يقول ان الحال التى تسود القرية المصرية تتفق مع كرامتنا أو مع طور الحضارة الذى بلغناه . فان كرامة الأمة لا تتفق ومنازل تبنى للعمال بلا مرافق أو نوافذ

كارمن

للقصصى الفرنسى بروسبير مريميه Prosper Merimè

تلخيص وتعليق بقلم حسن محمد حبشى

لقيت هذه القصة التى نلخصها اليوم سوقا نافقة عند جميع من طالعوها لأنها تصور جبروت الحب وسطوته ، فتحيل الرعديد بطلا صنديدا يلاقى الموت وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة الساخر الهازىء ، وكان من أثر اقبال الناس عليها أن أخرج منها أحد رجال الفن « أوبرا » موسيقية مازالت إلي اليوم غرة فى جبين الفن العالى ، وأثرا من الآثار الخالدة ، وانك لاتكاد تقول اسم « بروسبير مرميه » حتى تتلوه كلمة « كارمن » وهكذا كتب له الخلود بهذه القصة الرائعة ، كما أنك لاتكاد تقول « كارمن » حتى ترتسم أمامك صورة الحب العنيف ، قد جسمت فى كعاب ناهد ، سيطر جمالها الرائع على لب فتى وهبها قلبه ، وأضاع من أجل حبها حياته . فهى تصور لك طاغوت الهوى وسحر الجمال ذلك الجمال الاسبانى الجذاب ، الذى تلمح فيه عبق الاحساس الجنسى القوى ، وتلمس فى تضاعيفه الطبيعة الشرقية الحادة ، ولسنا نقدم هذه الرواية بأكثر من كلمة الناقد الفرنسى المعروف « تينى » حينما قال « شتان أن نقارن بين كثير مما كتبه شوبنهور عن طبيعة الحب والموت مثلا ، وبين كارمن هذه التى تقع فى مائة صفحة فالاخيرة أجلى وأروع »

* * *

برفع لك المؤلف الستار عن شاب قد أمضه التعب ، وأجهده النصب وكاد أن يقضى ظمأ وهو يجول بين القلل الشامخة المطلة على سهل « كاشينا » والشمس ترسل شواظا من أشعتها على رأسه العارى ، وبينا هو علي هذه الحال اذ أبصر على مسافة من الطريق الذى يعبره سهلا أخضر يموج بالعشب والكلأ والحلفاء ، مما يدل علي قرب حلول فصل الربيع ، وشاهد نهيراً يتفجر من نبع ضيق قد احتضنته سلسلتان من الجبال

واذ كان حصانه عند منبع النهر صهل فجاوبه فى الحال صهيل حصان آخر لم يتبينه وكان منظر السهل المعشوشب وتدرجه الطبيعي مما يبعث فى النفس بهجة وسرورا ومما يزيده روعة مرأى الصخور وهى تحنو عليه وتخلع عليه ظلالها فملك عليه هذا المنظر جماع مشاعره بيد أنه أحس بالأسف ذلك

لانه لم يكن أول من اكتشفه اذ كان هناك رجل قد انبطح على الارض يستجم للراحة من من وعثاء العمل فلما شاهده قادما عليه انتصب واقفا وأخذ بزمام حصانه فى يده مقتربا منه فاذا به شاب معتدل القامة ذو هيئة مروعة تدل على الجبروت والقوة وتفصح عن نفسية جبارة وقد أمسك باليد الاخري بندقيته السريعة الطلقات وكم أدهشه مرأى الرجل الشرس واذ لم يكن قد رأى فى حياته قطاع الطرق فلم يحفل به كثيرا أما مرشده « أنتونيو » فقد لاحت على وجهه دلائل الخوف والاضطراب حالما رأى الغريب ومن ثمت اختبأ وراء سيده غير أن هذا الاخير لم يعبأ به كثيراً ولكنه تمدد على بساط الكلأ وأخرج من جيبه علبة اللفائف وسأل الغريب أن يتناول سجارة فأخرج هو الآخر علبته دون أن تنفرج شفتاه عن كلمة ثم أسرع وأشعل عود ثقاب وتناول سجارته شاكرا ايابأ ومأ من رأسه

وكما أن الملح والخبز يؤلفان بين القلوب فى مصر والشرق كذا تبادل السجاير فى اسبانيا يكفى لتوطيد دعائم الالفة والاتحاد بين غريبين لم يتعارفا قبل . وحين تم ذلك تجلت له طبيعة هذا الرجل الغريب فاذا به ثرثار لجوج أكثر مما كان يظن وكان سغبان قد امضه الجوع اذ التهم فى شراهة عدة شرائح لحم مقدد كان يحمله المرشد « أنتونيو » ولما عرف أنه عازم على السفر الليلة الي « فنتاد لـكوفر » طلب أن يصحبه فرضى وبينما كانوا فى طريقهم ممتطين الجياد حاول أنتونيو أن يسترعى انتباه سيده ببعض حركات غريبة غير أن هذا تجاهلها وجعلها دبر اذنه ولا شك أن رفيقهم الثالث هذا كان مهرب بضائع أو لصا ولكن ماذا يهمهم هذا وقد أكل الجميع وتناولوا السجاير ؟

وأخيرا وصلوا فنتا فلم يكد يراها حتى ملكته الدهشة اذ لم يكن قد رأى مدة حياته مدينة عاثاها متربة وقذارة وفتحت لهم الباب امرأة حيزبون لم يبق بينها وبين الردى الا خطوة صغيرة فلما شاهدت رفيق السفر ارتسمت دلائل الدهشة على جبينها ثم صاحت :

— آه ياسنيور دون جوزيه ؟ !

فانحنى لها دون جوزيه ورفع لها يده ولم تلبث المرأة أن كفت عن الكلام ومضت تهيء لهم بالعشاء الذى الفاه أحسن مما كان يظن وحين انتهوا من تناوله قام دون جوزيه الى المندولين وغنى عليه عدة أغنيات بذيئة وحينئذ اقترب أنتونيو من ضيفه وقال انه اعتزم أن يمضى الليلة فى الاسطبل فلم يعبأ بكلامه ولم يكترث بل تركه دون أن يجيبه على سؤاله بشيء أما الآخر فقد توسد الارض غير ان اكلانا شديدا أقض مضجعه وأطار النوم عن جفونه فلم يذق للكرى طعما ولا التقى

جفناه الا غرارا مما اضطره أن يبرح مكانه الى أريكة فى الساحة الخارجية وبينما كان يأخذ الاهبة للنوم للمرة الثانية أبصر - ويا للعجب - مرشده أنتونيو يقود حصانه فلما تبين أنه كشف أمره توقف فجأة فى مكانه وقال فى اضطراب :

— أين هو الآن ؟

— انه فى الداخل يغط فى نومه ولا يشعر بشىء مما أطار نومي ولكن خبرنى: ألام تقود حصانى يا انتونيو ؟ وكان أنتونيو قد أخذ لكل شىء عدته فأحاط حوافر الدابة بأغطية الصوف حتى لا يسمع صدى وقع أقدامها واذ لم يكن الحصان حصانه فقد لاحت دلائل الاضطراب واضحة على محياه ثم أجاب فى صوت خافت مضطرب :

— صه . ان هذا الرجل هو « جوزيه نوفارو » أخطر لص فى أندلوسيا وهناك مكافأة مقدارها مائتا جنيه لمن يرشد عنه وأنا أعرف فرقة بوليس لا تبعد عن مكاننا هذا كثيرا وسأذهب الآن حيث آتي بجماعة منهم للقبض عليه قبل أن ينبثق نور الصباح

— ولكن أى سوء أصابك به الرجل حتى تعاقبه مثل هذا العقاب ؟

— أنت تعلم ياسيدى أنى رجل فقير ومن الجنون أن أذر فى الهواء مائتى جنيه خاصة اذا كنت سأرشد عن مكان رجل ضجت الناس من آثامه واستجار الانام من شروره وأهواله وستطهر الارض من جرثومته الخبيثة

فتوسل اليه صاحبه أن يدع هذه المجازفة الخطرة وأن يبقى على الرجل خاصة ولم ينلهما منه سوء ولكن توسلاته ذهبت أدراج الرياح إذ لم يلبث أن امتطى صهوة الحصان ثم أعمل المهماز فى جوانبه فانطلق مسرعا ولم تكد تمر دقيقة حتى افتقد « أنتونيو » شبحه فيما أثارته حوافره من عثير وتلاشى فى الظلام الحالك الضارب بأطنابه على هذا السكوت العميق

غادر أنتونيو المكان ولم يعلم بذلك سوى رفيق سفره الذى أخذ الخوف يتسرب الى قلبه مما أتاه أنتونيو ولذا فقد مضى الى الداخل حيث ينام جوزيه وأيقظه محذرا إياه بقوله :

— أيسرك أن ترى نفسك محاطا بثلة من الفرسان احاطة السوار بالمعصم فلا تعرف حينئذ لنفسك فكاكا ؟ قم يارجل فبعد قليل ستكون فى قبضة رجال البوليس ولن تعرف لنفسك حينها مناصا

فما كاد هذا القول يخترق سمعه حتى هب قائلا :

— لقد غرر بى دليلك . وها هو ذا يقودنى إلى الهلاك أنه مرشدك ! لقد خامرنى الشك فيه

منذ رأيته وطالعت فى عينيه روح الغدر والخيانة فالوداع ياسيدى وليجزك الله خيرا أزاء هذا الجميل الذى طوقتنى به أمد الدهر ولست شريرا كما تظن ولكن . . . ولكن الوداع ياسيدي؟؟

ثم انطلق الي الاسطبل ولم تكد تمر بضع دقائق حتى ردد السكون وقع أقدام حصانه وهو يمضى خببا وسط المروج وأطلق له العنان فمضى كالسهم المارق ولما خيمت السكينة ونشر الصمت طنبه نظر صاحبنا الى نفسه يحاسبها أكان مخطئا أم مصيبا حين بذل الجهد فى انقاذ هذا اللص الخطير وحال بينه وبين الموت واذ ذاك خطرت على ذهنه نظرات أنتونيو الشرسة وكيف تدل على حقد . ومهما يكن الامر فقد سافرا صديقين الى كردوفا

* * *

قضى الشاب بضعة أيام فى كردوفا ينقب عن بعض مخطوطات خاصة فى مكتبة الدومنيكان وفى ذات ليلة بينما كان يسير متنزها أقبلت اليه امرأة وأخذت مكانها بجانبه وكانت ترتدى ملابس ساذجة موشحة بالسواد من قمة رأسها الي أخمص قدميها وسرعان ما أخذ كل منهما يحادث الآخر بعد أن رمته بوردة حمراء كانت دليلا على اتقاد العاطفة واذ تناول ساعته ارتسمت على وجهها دلائل الدهشة والعجب ولم تملك نفسها أن قالت :

— هذه ساعتك ؟

— اجل ! وهي من الذهب الخالص

— ما أكثر تفشى الاختلافات بينكم أيها الاجانب ! ؟

أما هو فقد عرف من حديثها الذى قصته عليه أنها « نورية » واقترحت عليه أن تخبره عما يخبئه له القدر فى حياته بين طياته ثم قالت :

— هل سمعت الناس يتشدقون باسم « كارمنشينا » ؟ اننى هي ! ؟

فأجابها مخاطبا نفسه بصوت لا تكاد تسمعه

— يا لله لقد قدر لى الاسبوع الماضى أن أتناول طعام العشاء مع أحد قطاع الطرق واليوم ها أنا ذا أتناول مرطبا مع نورية حسناء وان المرء ليتاح له أن يرى كثيرا من الغرائب فى رحلاته !

ومن ثم رافق كارمن الى احدى المقاهى حيث تناولا بعض المثلجات

وكانت رفيقته هذه على جانب عظيم من الجمال وقد أسره جمالها الفاتن وقامتها الممشوقة وروحها الجميلة فلها وجه لا تكاد تراه لاول مرة حتى يملكك العجب به بيد أنه على كل حال وجه لا يتسنى للنسيان أن يسدل عليه ستاره وأنه لمن السهل أن يستشف المرء خلال نظراتها روح الحب العنيف والغرام الجرىء والعاطفة الجنسية . وخيل اليه أنه يرى فى جسدها وجسمها يغرى وأنوثة ظمأى . تتلهف لمشتاق مما

لم يره أبدا فى غير طلعتها . . . ووجد أنه من السخرية والعبث أن يتعرف مستقبله فى مقهى عام كهذا ولم يجد بدا من أن يطلب اليها أن تأخذ بيده الى مسكنها حيث يمكنها أن تقص عليه ماترى فلم تبد أية مقاومة ولكنها صممت قبل كل شيء أن ترى ساعته فلما أخذتها بين أصابعها تأملتها جيدا ثم قالت

— أمن الذهب الخالص ساعتك هذه ؟

أقبل الليل بديجوره ولم تكن تسمع نأمة وأقفلت الحوانيت أبوابها وأقفرت الشوارع من عابريها ولم يكن هناك من أحد سواهما يمشى على جسر « كراد لكيفى » ميممين وجههما شطر أطراف المدينة ولم يكن المنزل الذى قصداه نخما ودقت كارمن الباب . وفتحه لهما غلام صغير فخاطبته كارمن باللغة الرومانية وحينئذ اختفى فى الحال عن ناظره

ثم انطلقت هي واحضرت ورق اللعب ومغناطيسا وحرباء جافة وبعض ضروريات يستلزمها عملها كما قالت وطلبت منه أن يضع فى يدها اليمنى قطعة من النقود ومن ثم ابتدأت عملها فى صمت غير أن هذا الهدوء لم يدم طويلا اذ دفع الباب فجأة ودخل عليها رجل خاطب كارمن بألفاظ جارحة عرفه فى الحال فاذا هو « دون جوزيه » وحياه الا أنه التفت صوب النورية وقال فى حدة

— هكذا الى الابد ؟ لا . لابد لهذا الامر من نهاية ؟

وكانا يتخاطبان بلغتهما الخاصة أما هي فقد استعادت رباطة جأشها وأضحت عيناها ترعبان الناظر اليهما وتبين للشاب أنها تحث دون جوزيه فى قوة على أن يفعل شيئا توقف هوعنه وعرف من ايماءتها السريعة ما تقصد اذ رفعت يدها كالبرق الخاطف الى تحت ذقنها فعلم أن هناك مسألة غدر وقطع رقبة وخشى أن يكون هو الضحية فرد عليها دون جوزيه أجابة موجزة فابتسمت ثم مضت الى أحد أركان الغرفة وأخذت تقشر برتقالة وتلتهمها

أما دون جوزيه فقد أخذ الشاب من يده وفتح الباب ومضى به الى الشارع حيث سارا فى هذا السكون المظلم العميق ثم مد يده الى الشاب مودعا وقال:

— سر فى هذا الطريق الممتد أمامك وستجد فى نهايته الجسر

قال هذا ثم قفل راجعا فى الطريق الذى سار فيه مع كارمن منذ لحظات قلائل وعاد الى الفندق مضطربا مبلبل الافكار ومما زاد الطين بلة وجعله حائرا هو أنه حين خلع ملابسه وبحث عن ساعته الذهبية وتفقدها لم يعثر لها على أثر

وفى اليوم الثانى رحل الشاب الى « سفيل » حيث مكث عدة أشهر فى أندلوسيا عاد بعدها الى « كردوفا » ثانيا حيث كان فى طريقه الى مدريد

وقد لاقاه الآباء فى الدومنيكان بترحاب وبشر أنسياه ما لقيه من عناء وقال أحدهم

— لقد وجدت ساعتك الذهبية المسروقة وستعاد اليك وقد القى القبض على اللص وأودع فى غياهب السجن ليلقى جزاء ما اقترفت يداه ويسمى فى الاقاليم دون جوزيه نافارو ويمكنك أن تراه اذا شئت

فلما سمع الشاب ذلك أبدى رغبته فى زيارته وأخذ معه بضع سجاير وحين رآه الدون جوزيه قابله بهزة من كتفيه ونظر اليه ببرود غير انه لم ييأس بل عاد اليه فى اليوم التالى ووقف منه على تاريخ حياته ومجازفاته ولندع المؤلف يقصها علينا كما أوردها على لسان الدون جوزيه ، قال

* * *

لقد ولدت فى Elizonda وكان اسمى « دون جوزيه لزارابنجو » ومنه تعلم أنى باسكى ومن عائلة عريقة فى المسيحية وفى ذات يوم بينما كنت العب التنس معصبى من أهالى « ألافا » فزت عليه فلم يرضه ذلك وتشاجر معي ومن ثم اشتد هذا العراك حتى أمسك كل منا بعصاه الحديدية وأقبلنا يضرب كل منا الاخر غير أن النصر كان حليفى هذه المرة أيضا فجندلته واضطرني ذلك لان أهجر ذلك الاقليم وفى طريقى لقيت بعض فرسان انضممت اليهم وسرعان ما صرت ضابطا وكانت النية متجهة الي ترقيتى اكثر من ذلك لولا ظروف القدر السيء والحظ التعس اذ وضعت على المراقبة لمصانع الدخان فى سفيل

وكنت حينئذ يافعا تجرى فى عروقى دماء الشباب الحارة كما كنت دائم التفكير فى وطنى ألا انى كنت أخشى مزاح غادات الاندلس ولكن في يوم الجمعة ـ ولن أنساه أبدا — بينما كنت أقوم بالحراسة المناطة بي سمعت بعض الاهالى يقولون « ها هى ذه النوربة الحسناء » فلما رفعت بصرى شاهدت جمالها الساحر لاول مرة . لقد رأيت الفتنة والحسن ، رأيت الدلال والجمال الرائع . وجدت الاغراء في كارمن التى رأيتها أنت وشاهدت جمالها وسحرها

وقد داعبتنى وهى تمر فى فناء المعمل وابتسمت لى ابتسامة مغرية مشجعة ورمتنى بزهرة من زهرات البانسيه فاذا بها تمس شغاف قلبى الذى ظل يخفق لها بالحب مذ رآها أول مرة حتى انتهت

الى ما انتهت اليه ، ولما رمتني بهذه الزهرة ووقعت على الارض التقطتها في ذهول شديد وحفظتها في جيبي وكنت أضمها الى كما تضم الام ولدها الرضيع أو كما يضم العاشق عشيقته في خلوة برة الاوفياء

بعد بضع ساعات من هذه المقابلة تشاجر بعض عمال المعمل مما اضطرني لأن أصطحب معي رجلين من رجالي لنفض هذا النزاع ، فلما ذهبت وجدت أن « كارمن » طعنت امرأة عاملة بسكينها الحادة ، عدة طعنات في وجهها فلم أجد بداً وأنا القائم على النظام الا أن آخذ كارمن الى المخفر حيث قال الضابط المختص بذلك أن كارمن هذه امرأة خطيرة شرسة الطباع ولابد أن تكبل بالحديد وتلقى في السجن ، فامتثلت لأمره وقدتها بين جنديين ومن ثم انطلقنا نحن الى المدينة

وفي مبدأ الامر ظلت كارمن ملازمة الصمت فلم تنبس ببنت شفه ولكنها توجهت الى وقالت في لهجة ناعمة وصوت حنون :

— هل ستأخذني الى السجن ؟ وا أسفاه اتري ما الذى سيحكم على به ؟ أليست لديك رحمة أيها الضابط الشريف ؟ انك جميل الطلعة . فهلا مددت الىّ يد المساعدة ؟ هيء لي سبيل النجاة والهرب وسأعطيك قطعة من الحجر تجذب اليك قلوب النساء جميعاً وتجعلهن يتفانين في سبيل محبتك ورضاك عنهن ! !

ولكني أجبتها بصوت فظ لا أثر للشفقة فيه ان هذه أوامر القيادة العليا صدرت الينا ولا بد من تنفيذها والأولي لها انلاتفكر في النجاة أو الهرب

وقد علمت من لهجتي أني « باسكي » ومن ثم ابتدأت تخاطبني بلغة بني وطني ، وأخبرتني أن جماعة من النور قد اختطفوها من اقليمها (نافارا) وانها اضطرت لأن تشتغل في معمل الطباق علها تربح مبلغا من المال يساعدها على العودة الى أمها العجوز المسكينة وأن النساء الاسبانيات اللائي يشتغلن في المعمل قد أهن وحقّرن وطنها بالفاظ جارحة

ولست في حاجة ياسيدي لان أقول لك انها كانت تكذب في جميع أقوالها كما هو شأنها في جميع حياتها غير اني ياسيدي صدقت كل ماقالت ولست أدرى أية قوة جعلتني أصدقها ثم بدأت تخاطبني باللسان الباسكي الذى لايفهمه سواى وسواها فقالت :

— الطريق سهل ياسيدي الضابط سادفعك بقبضتي يدي فترتمي أنت على الارض وحينئذاك لايستطيع ساعداك القبض عليّ فأفر وبذاك ينجو كلانا

فقلت لها – لا مانع عندى مطلقا أيها المواطنة العزيزة

وفى الحال لم أشعر إلا بضربة منها فى صدرى فارتميت على الارض وقفزت هى قفزة عالية وأطلقت لساقيها العنان وانطلقت بسرعة لاتلوى على شىء غير النجاة ولم يكن هناك من خطر عليها فقمت بمساعدة زميلى وعدنا الى القسم بخفى حنين

وكانت نتيجة ذلك أن سجنت شهرا وفى يوم من أيام السجن دخل علىّ الحارس وسلمنى نوعا مخصوصا من الخبز وقال لقد بعثت اليك عمتك بهذا الرغيف

فاخذتنى الحيرة اذ لم تكن لى عمة فى سفيل ولكن حينما قطعت الرغيف أبصرت ويا للعجب قطعة من الذهب ، ولاشك فى أن هذا كان من كارمن ذلك لأن هؤلاء النوريات ليس بكثير عليهن أن يشعلن النار فى المدينة فى سبيل النجاة يوما فحسب ، وفى الحقيقة انى تأثرت كثيرا وقد علمت أن كارمن لاتزال تذكرنى

انتهت المدة المحكوم بها على وحين أطلق سراحى أقامونى حارسا على باب كولونيل ولا شك أن فى ذلك العمل تحقيرا لى وخفضا لمرتبتى ، ولكن كل هذا جزاء ماجنيته وبينما كنت أقوم بعملى المناط بي أبصرت كارمن ثانيا ، وقد برزت فى حلة غريبة مزينة بالجواهر والذهب من قمة رأسها الى أخمص قدميها وكانت ذاهبة فى ثلة من النوريات الجميلات ليلة الى منزل الكولونيل للعب والمزاح فلما عرفتنى حددت لى موعدا للمقابلة فى محل عينته لى فى اليوم الثانى وحينما أرجعت لها قطعة الذهب التى بعثت بها الى استغرقت فى الضحك وعند انفضاض مجلس اللهو قالت لى :

— أتعرف ياصديقى انى أعتقد أنى احبك قليلا ولو أنك انخرطت فى سلك النور فاني ارغب من صميم قلبى ان اكون زوجتك ، ولكن انى لى هذا ؟ ان هذا من رابع المستحيلات وآمل ان لاتفكر بعد اليوم فى كارمن وإلا أودت بك الى المقصلة

لقد كانت تقول الحق ياسيدي هذه المرة ، لولم افكر فيها لكنت رجلا عاقلا ولكن بعد اليوم لم اكن لأفكر فى أحد سواها . . . لقد شغلت حيز تفكيرى وكنت أسير فى الطرقات آملا ان أراها كل لحظة وفى كل خطوة اتخيل اني سألاقيها اثرها ولكنها كانت قد ودعت المدينة وهجرتها ولم يعد لها ظل بعد ذلك فيها

ومضت على هذه الحادثة وتلك المقابلة عدة أسابيع حين كنت اقوم بالحراسة الليلية لابواب المدينة فشاهدت كارمن . . . نعم كارمن التى حبست من أجلها . . . كارمن التى أحسست فى

نفسى شوقا وحنينا اليها . . . كارمن التى ملكت على احساساتي وعواطفى ووجداني وسيطرت على كل جارحة فى نفسى وجرى حبها مجرى الدماء فى عروقي

لقد كنت أقوم بمنع المهربين من أن يدخلوا المدينة . فماذا كان موقفى أزاء كارمن ؟

لقد توسلت الى أن أدع خمسة من أصدقائها المهربين يعبرون الابواب وقدحملوا جميعاالبضائع الانكليزية المهربة وطلبت منى أن أمضى اليها فى اليوم الثانى فى نفس المنزل الذى زرتها فيه أخيرا

أما كارمن هذه فقدكانت متقلبة الطباع لاتظل على وتيرة واحدة فكم من مواعيد تزجيها دون أن تفى بها وفى ذات ليلة بينما كنت مدعوا لدى صديق من أصدقاء كارمن ، دخلت هذه علينا يتبعها شاب صغير برتبة قائد فى غرفتنا فلما أبصرنى طلب إلى أن أرحل فى الحال غير أني أجبته بلهجة حادة . وسرعان ما امتشق كل منا حسامه واذا بنصل قناتى ينشب فى صدره ويخترق شغاف قلبه واذا بالدم الحار يتدفق بغزارة من جرحه فلما أبصرت كارمن ذلك أطفأت المصباح وعدونا فى الشارع وقالت لي :

— يالك من جاهل ! انك لاتصلح الا للاشياء الجنونية ، ألم أخبرك ان صداقتك لي ستجرك الى مواطن الاثم والحظ السيء ؟

قالت ذلك ثم طلبت الى أن أخلع ملابسى الرسمية وارتدى عباءة وطنية وأغطى رأسى بمنديل عريض فكان الناظر الى يعتقد انى فلاح وطنى وبذلك الهندام تمكنا من الهرب معا فى أمان ثم اخذتنى الي منزل قائم عند نهاية السهل المعشب ثم قامت هى وامرأة اخرى لغسل وتضميد جروحى وفى اليوم الثاني أخبرتنى بالحياة التى اختارتها لى وذلك بأن أكون مهربا . فلم أستطع أن أرد لها رغبة اذا كان الحب هو محركى ، وفى الحقيقة أنى استمرأت فى مبدأ الامر حياتى الجديدة لما فيها من حرية وكرهت حياة الجندية المنهكة ، وربما كان ماحببنى فى هذه الحياة الثانية هو رؤية كارمن كثيرا

آه ياسيدى ما أشد قوة الجمال وتأثيره فى النفس ان البطل الصنديد ليغدو للجمال عبدا وأن المرء ليقتحم الاهوال فى سبيل رضاء المرأة الجميلة وكم يلاقى من الشدائد والاهوال ويعبر السهول والجبال وينتقل من الحياة الهادئة الى حياة اللصوصية والتهريب . . . كل ذلك فى سبيل المرأة الجميلة

وكم أثارت بي كارمن لاعج الغيرة وتأجج لهيبها فى نفسى خاصة بعد أن رضيتنى زوجا وقد رغبت نفسى عن هذه الحياة الجديدة ومللتها وحين أخبرتها بما يجول فى ضميرى ورغبتى فى أن

ننهي هذه الحياة الخطرة ونودع اسبانيا لنرحل الى أمريكا لنعيش عيشة الهدوء والسكينة ضحكت منى . . أجل ضحكت منا وحق لها ان تضحك فقد أصبحت أطوع من بنانها تحركنى كيف شاءت وتعرف أنى عبد جمالها

وبينما كنت مختفيا فى غرناطة قامت هناك حفلات مصارعة الثيران وذهبت كارمن لتشاهدها ولما عادت الى أخذت تطنب فى وصف مصارع جرىء يدعى لوكاس فلم أحفل بهذا الثناء والاطراء كثيرا غير أن الغيرة أخذت تلتهب فى نفسى خاصة بعد أن سمعت أنها كثيرا ماشوهدت مع لوكاس فقط ولما سألتها كيف قابلته ولماذا ؟ أجابتنى فى جرأة متناهية :

— انه رجل وبواسطته يمكن العمل لقد ربح ألفا ومائتى جنيه من مصارعة الثيران ولنا أن نختار أحد أمرين لا ثالث لهما الاول أما أن نحصل على ماله الجم ، وأما أن نضمه الى جماعتنا لأنه يتقن ركوب الجياد وماهر فيها

— ولكننى لا أريد ماله ولا شخصه بل وأمنعك من مخاطبته ولقائه بعد الآن .

— تنبه يادون جوزيه أن أى شخص يجرؤ على مطالبتى بأى شىء فسرعان ماينتهى

وكان من حسن الحظ أن المصارع لوكاس غادر المدينة وأخذت أنا فى التهريب وكان ذلك قبل لقائي اياك ياسيدى لاول مرة بزمن قليل ... وقد سرقت كارمن ساعتك الذهبية فى المرة الاخيرة وكانت تبغى مالك أيضا وقد قامت بيننا مشاجرة حادة حول هذا الامر مما أدى الى ضربى اياها وحينئذ شحب وجهها وأخذت تنتحب وكانت هذه أول مرة أراها فيها تبكى مما أثر فىّ كثيرا ، وقمت أستسمحها ، ومرت على هذه الحادثة ثلاثة أيام ثم قبلتنى فى جبيني وقالت :

— ان احتفالا كبيرا يقام فى كردوفا وسأذهب لأنظره وسأخبرك بالرجال الذين تضخمت جيوبهم

فسمحت لها بالذهاب ولكن جن جنونى حينما أخبرنى أحد الفلاحين أن ليس ثمت احتفال غير حفلة مصارعة ثيران فمضيت أنا الآخر الى كردوفا ودلني الناس على لوكاس وحصانه قد ارتميا علي صدر الثور فاعتلاها هذا الاخير ونظرت الي كارمن واذا بها تغادر مجلسها غير أنى لم أتمكن من مجاراتها فاضطررت أن أظل فى مكاني حتى النهاية

وذهبت الى النزل قبلها اذ وصلته هي فى الساعة الثانية صباحا فطلبت اليها أن تأتي معى للرواح فلم تبد أية مقاومة فذهبنا وامتطينا صهوة جوادى وظللنا طول الطريق صامتين وفى الصباح قلت لها :

— انتبهي الى يا كارمن سأنسى الماضى على ان تقسمى لى بأن تتبعينى الي أمريكا وتعيشى معى فى هدوء

غير أنها أجابتني فى شراسة . — لا ؟ لن أذهب الى أمريكا فأنى أعيش هنا فى راحة وبلهنية

وكم تضرعت اليها أن تغير منهج حياتنا فقالت « انى سأتبعك الى الموت ولكنني لن أعيش معك بعد هذا وكثيرا ما رأيتك تفكر فى قتلى ، وها أنا ذا أرى ما أنت معتزم عليه ولكل أجل كتاب ، غير أنك لن تستطيع اخضاعى »

فقلت : اصغى الى يا كارمن لاجلك ودعت حياة الجندية الشريفة وآثرت حياة اللصوصية والقتلة ! كارمن ! يا أعز ماعندى فى الوجود ان هناك بقية من الزمن يمكن أن نعيشها فى سلام ! ؟

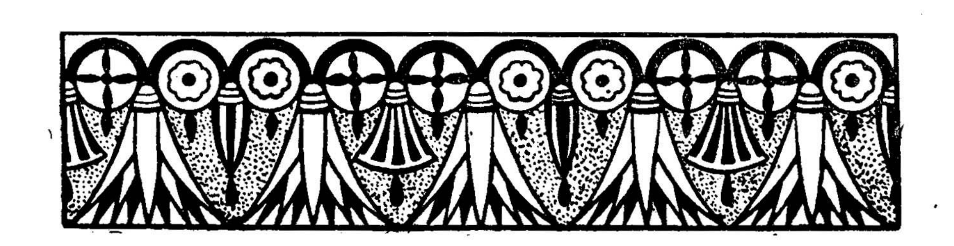
فقالت . جوزيه انك تطلب منى المستحيل لم أعد أحبك أو أميل اليك . لك الحق أن تقتلنى اذا شئت ولكن كارمن لابد أن تظل طليقة لاتقيدها القيود ، أما أن أحبك فذلك فوق مناط النجم ولا أريد أن يظللني واياك سقف بعد اليوم

وحين أتمت قولها هذا ، ثارت فى عروقى دمائي وسرعان ما أخذت بيمينى سكيني الحادة وأنشبتها فى قلبها ولم تلبث كارمن أن لفظت نفسها الاخير بين يدى فحفرت لها قبرا فى الغابة وواريت جثتها بالتراب وانطوت صفحة حياتها فى هذا المكان ثم امتطيت صهوة جوادى وأسرعت الى كردوفا وسلمت نفسى الي أول فرقة من الشرطة قابلتنى

ما أتعسك يا كارمن ان الاثم ليعود على هؤلاء النوريات اللائى سقنها الى مثل هذه الحياة وتلك العاقبة لقد صدق قولها « ان صداقتها لي ستجرنى الى الحظ التعس ! »

* * *

هذا ملخص مقتضب لقصة كارمن وهى على صغرها من الآثار الادبية الخالدة التى صورت طاغوت الحب وجبروته



علم التحنيط عند الفراعنة

تقدمت العلوم البشرية منذ بداية هذا القرن تقدما خطيراً . وخطت فى سبيل الوصول الى القمة خطوات واسعة شريفة . وكان علم الطب هو الزعيم فى كل فترة من كل حين . فقد استطاع بفضل رجاله أن يحتل رأس القائمة بين العلوم جميعها

قلنا « تقدم الطب بخطوات ثابتة جريئة » ولكننا قصدنا من الطب ناحية واحدة من نواحيه العديدة . ناحية هي الاشد ظهوراً والأثبت مكاناً ونقصد بها الطب الجراحي أو الجراحة

تقدمت الجراحة فى نواحي العالم . وظهر من زعمائها وأساطينها العدد الجم . وأصبحت الاجسام البشرية تحت رحمة الجراحين ومباضعهم كقطع العجين بين يدى الخباز . وأصبحت عمليات الاستئصال والبتر والمزع والقطع أضمن نجاحا وأكثر أملا من ارتفاع الحرارة فى النزلات الشعبية والاضطرابات المعدية والمعوية

بلغت الجراحة مثلها الأعلى ونجحت النجاح كله . ولكن هذا النجاح لا يزال يشوبه نقص حير عقول الجراحين وجعل كرسى الزعامة يهتز من تحتهم . هذا النقص هو تأخر علم التحنيط على طول الخط . وعدم وجود أى أمل فى اكتشاف هذا السر الغامض

وان أكبر محاولة عملت فى هذا الفرع من فروع الجراحة كانت محاولة الاحتفاظ بجثمان الزعيم الروسى المعروف « لينين » فقد بذل الجراحون الروس يعاونهم أبطال الكيميا وزعماء الآثار جهود الجبابرة للتمكن من الابقاء على هذا الجثمان سليما من العطب . فحاولوا الاستعانة بالطريقة المصرية القديمة فى التحنيط . ولكنهم خابوا فى كل خطوة خطوها وفى كل تجربة أجروها . وأخيراً وبعد أن أعيتهم الحيلة لجأوا الى طريقة التحنيط الحديثة وهى حقن الجثة بمحلول الفورمالين الذى لا يستمر مفعوله لسوء الحظ أكثر من سنة ولذلك يعيد الروسيون الكرة فى كل سنة حيث يعاد حقن الجثة. ولولا ذلك لأخذت الجثة كـكل كائن حى السير فى طريقها الطبيعى من التعفن والانحلال

كانت المحاولة التى أجريت فى جثمان زعيم روسيا هى نفس المحاولة المعروفة عندنا وعند غيرنا من الأمم المعاصرة . ففى حالة ما اذا أريد تحنيط جثة لنقلها من بلد الى بلد يلجأ الجراح إلى فتح البطن وانتزاع الاجهزة الباطنية جميعها من أماكنها . ثم يغسل الجسم من الباطن بمحلول الكئول غسلا طيباً . وبعدئذ يملأ بتراب الفحم ونشارة الخشب ثم يخيط . أما الاحشاء الباطنية فأحياناً ترسل مع الجثة محفوظة فى وعاء من الرخام أو الزجاج أو الفخار المملوء بمحلول الكئول أيضا . وأحياناً ترسل الجثة دون الاحشاء

أما السبب فى نزع الاحشاء فراجع إلى تعفن بقايا الأغذية التى فى الامعاء الغلاظ والانسان على قيد الحياة . ويضبط هذه العملية حركة الانسجة الحية التى هى متواصلة معها . وان ضعف هذا الضابط الذى يحصل عادة قبل الوفاة يرخى العنان لفعل جيوش ميكروبات التعفن الموجودة. ويوجد عدد كبير جداً لمختلف أنواع الميكروبات فى الانسجة المتحللة لا ضرورة لذكرها الآن

وان طريقة استخدام محلول « الفورمالين » لهى الطريقة الوحيدة التى يعتمد عليها طلبة الطب فى مصر فى علم « التشريح » فتحقن الجثة بمحلول « الفورمالين » من الشريان الأساسى بالرقبة حتى اذا تشبعت الانسجة من هذا المحلول حفظت فى حوض مملوء بهذا المحلول نفسه

فالحقن بالفورمالين هو المحاولة الوحيدة المعروفة حتى الآن . ولكنها محاولة يلازمها الخيبة إذا هى لم تتجدد من وقت لآخر . وإننا نخرج من هذا كله بان علم التحنيط المصرى القديم أصبح سراً من الأسرار . وطلسما من الطلاسم . . عجز العقل البشرى بما أوتيه من قوة وبطش عن تفهم كنهه وكشف حقيقته . وأن ضياع الأمل ليزداد عندنا ويتضاعف إذا ذكرنا أن الفراعنة قد تركوا لنا عينات من المركب الذى استخدموه فى تحنيط جثثهم لا تزال محفوظة فى بعض الاوعية الزجاجية فى المتحف المصرى . وذكروا عنه الشىء الكثير مما تركوه لنا منقوشا على الجدران أو محفوظا فى أوراق البردي

لقد برع الفراعنة فى مختلف العلوم والفنون . فنظرة واحدة قصيرة نلقيها على الاهرام فى الجيزة وفى صقارة وما بينهما . وعلى معابدهم فيما بين الاقصر وأصوان وما اليهما . وعلى مصاطبهم ومسلاتهم الموزعة هنا وهناك فى غير ما نظام ولا ترتيب تعطينا صورة ناطقة عن تلك القوى الجليلة التى تجلت بوضوح تام وكمال شامل فى كل ناحية من نواحى حياة هذا الشعب الجبار حتى اندفع الكثير من المؤرخين والأثريين الى رفع مستوى العقل الفرعونى عن مستوى العقل العادي . وإطلاق لفظة « Supermen » على أفراد هذا الشعب النشيط الذى سكن وادي النيل منذ ستة آلاف سنة والذى جعل من نبوغه فى نواحى العلوم المختلفة نقطة ارتكاز لدائرة الدراسة العالمية الحاضرة

اندفع المصريون إلى تشييد هذه الآثار الجبارة بدافع دينى مطلق . فقد اعتقدوا فى وجود العالم الثانى . وفلسفوا فى تفهم كنه هذا العالم . فقالوا فيه أنه تتمة للعالم الأول لا اختلاف بينهما . فاذا مات الانسان انتقل من الدنيا الأولى إلى الدنيا الثانية بنفس ذاتيته . ولكنهم اشترطوا أن يحتفظ الانسان بالعناصر الأساسية لجسمه بعد موته . هذه العناصر هى القرينة أو « الكا » أو الصورة الثانية للانسان . وهذه تسكن مع الميت فى المقبرة بعد موته . وتتمتع بكل ما هو موجود فى المقبرة من طعام وشراب ولباس . ثم الروح أو « البا » وهى تصعد إلى السماء . ثم هناك عناصر ثانوية أخرى لا داعى لذكرها هنا منها الباخ أو ظل الانسان

أما القرينة فكانت لا ترجع إلى الميت إلا إذا كان الجسم صحيحاً كما كان قبل الموت . ومن أجل ذلك عمل المصريون الجهود الجبارة للوصول إلى طريقة يمكن بها حفظ أجسامهم من العطب والتحليل

لقد تعمق المصريون فى فروع الطب جميعها . وبلغوا شأواً عظيما فى أمراض العيون وجبر الكسور وعمليات الختان وصناعة العيون الصناعية وتركيب الأدوية . وإن طريقة استخدام سلفات النحاس فى علاج أمراض الرمد الحبيبي مأخوذة عن الطريقة المصرية القديمة . ولكن فن التحنيط قد بز كل هذه العلوم ورأس الزعامة بينها على الدوام . لقد عرفنا عندهم الاطباء الاخصائيين فى العيون فحسب . وفى أمراض القلب فحسب . وفى الامراض الباطنية فحسب . وفى أمراض الأنف والأذن والحنجرة فحسب . ولكننا لم نعرف منهم طبيبا جمع بين أمراض الاطفال والولادة وأمراض النساء ولا خلط بين الامراض التناسلية والباطنية

كانت عملية التحنيط تتم فى أربع خطوات :

(١) الخطوة الأولى . وهى عملية فتح البطن . وذلك بشقها بسكين من الناحية اليسرى تحت القلب قليلا . ومن هذه الفتحة تتفرغ جميع الاجهزة الباطنية فتخرج القلب والرئتان والمعدة والامعاء والكليتان والكبد والطحال . ثم ينتزع المخ من مكانه باخراجه من طريق الانف والأذن والفم . وبعملية فتح البطن هذه ونزع الاجهزة الباطنية تصبح الجثة عبارة عن هيكل عظمى تغطيه طبقة اللحم الخارجية . أما السبب فى الاسراع باخراج الاحشاء الباطنة فراجع الى منع الميكروبات اللاهوائية الموجودة بكثرة فى هذه الاجهزة وخاصة فى الامعاء الغلاظ من الاتصال بالجسم ذاته حتى لا يفسد

(٢) أما الخطوة الثانية فهى عملية معالجة الجثة وخاصة الجزء الباطن بغسلها بمحلول هو خليط من الصودا الكاوية والقطران والنطرون وبعض الصموغ المذابة والماء . أما هذا المحلول المركب فكان الغرض منه إذابة المواد الدهنية الموجودة بكثرة عند منطقة الكليتين من التعفن . وتكوين طبقة عازلة لحماية الجسم من التفاعلات المختلفة

(٣) وإذا ما انتهى المحنطون من هذه العملية انتقلوا إلى الخطوة الثالثة فى عملهم وهى عملية حشو الجثة من الباطن . وهذا الحشو كان عبارة عن خليط من أعشاب السنط والتربنتينا والعطور والمر والطيب وبعض الزيوت . وإذا ماتمت هذه العملية يخاط الجسم ثم يوضع السكين الذي استخدم فى فتح الجثة على الفتح من الخارج . وبعدئذ تلف الجثة باللفائف والاشرطة الكتانية

(٤) هنا تنتهى عملية التطهير والتنظيف ومنها ننتقل إلى الخطوة الرابعة . وهى عملية التجميل الخارجى أو « التواليت الجنائزى » إذ تصبغ أظافر اليدين والقدمين بمادة وردية اللون ذكية الرائحة تشبه فى الوقت الحاضر مادة « الا كلادور » المستعملة فى عمليتى « المانيكير والبيديكير » ثم يتبع ذلك تكحيل العينين بمسحوق « الانتيمتون » ويشبه « الريميل » فى الوقت الحاضر ثم تزجيج الحاجبين بمادة لونها وسط بين الازرق والاخضر

هذه العمليات المختلفة من فتح وغسل وحشو وخياطة ولف وتجميل كانت تتم فى أربعين ليلة . وكان المحنطون يتممون هذه العمليات ليلا لما يمتاز به الليل من هدوء وسكون يمكن فى أثنائه ترتيل الصلوات الدينية المختلفة والتعاويذ السحرية التى يرددها المحنطون طوال اشتغالهم بعملية التحنيط

أما الاجهزة الباطنية فكانت تحنط بطريقة غسلها بنفس المحلول الذى استخدم فى غسل البطن . ثم توزع هذه الاجهزة على أربعة أوعية متساوية الحجم مصنوعة فى العادة من رخام « الالباستر » ومملوءة بالمحلول ذاته . وكان القلب يوضع فى وعاء على حدة . ثم توضع المعدة والامعاء فى الوعاء الثانى . ثم الرئتان فى الوعاء الثالث . والكليتان والكبد والطحال فى الوعاء الرابع

بذلك تنتهى عملية التحنيط . فهل عند ذلك تدفن الجثة فى مقرها الأخير ؟ لا . فهناك فريضة كبرى لا بد من ادائها ألا وهى فريضة الحج إلى مدينة « الموتى » إلى مدينة « أوزوريس » إله الموتى . إلى بلدة « أبيدوس » وموقعها فى الوقت الحاضر « العرابة المدفونة » عند محطة البلينا

كانت جثة الملك الميت توضع فى تابوت من ورق البردى المقوى تغطيه طبقة رقيقة من الجبس على أن يأخذ التابوت شكل الملك الميت تماما . ثم يلون هذا التابوت من الخارج ببعض الألوان . ويرسم عليه صورة الميت واضحة . ثم يكتب على جانبه منتخبات من تعاويذ سحرية يقرأها المتوفى كى يحمى نفسه من الضرر والشياطين و « الموت الثانى » وتمكنه من الخروج من القبر لمرافقة المعبودات والتحول إلى قوى إلهيـة مختلفة وللحصول على البراءة يوم الحساب ونحو ذلك من الأغراض الكثيرة . ويصحب معظم التعاويذ رسوم ملونة لها فى الغالب قيمة فنية كبيرة

بعدئذ ينقل التابوت بطريق النهر لزيارة مدينـة الموتى لغرض التبرك منها . ويصحب التابوت كبار رجال القصر والدولة وفرق الجيش وأفراد الشعب . وإذا ما تم الحج إلى المدينة المقدسة أعيد التابوت الى المكان المعد للدفن وهناك يوضع هذا التابوت البردى داخل ثلاثة من التوابيت الخشبية المتداخلة والمطعمة بالذهب الخالص . وهذه كلها توضع داخل تابوت ضخم من الحجر الجيرى أو الحجر الرملى أو من الجرانيت الاسود أو من الجرانيت الوردى أو الجرانيت الأشهب أو من المرمر الابيض . ثم ينقل هذا التابوت العظيم الى المقبرة المعدة لسكن الميت إلى النهاية

ونريد أن نذكر هنا أن جماعة المحنطين الذين يقومون بكل هـذا العمل المقدس كانوا يكونون طبقة مكروهة منبوذة من الشعب عامة . ولعل ذلك يشبه من بعض الوجوه كراهيتنا لجماعة حاملى النعوش وحفاري القبور فى الوقت الحاضر مع كونهم يؤدون خدمة من أقدس الخدمات الانسانية وأجلها . ويمكننا — فى شىء من الحذر — تعليل كراهية المصريين لطبقة المحنطين باعتبار عمليـة التشريح من العمليات المخالفة للشرائع الدينية عندهم

عزيز كامل حنين
الحائز لدبلوم الآداب من المعلمين العليا
ودبلوم اللغة المصرية والآثار من الجامعة المصرية

الخط اللاتيني للغة العربية

لسلامه موسى

سبق أن قلنا وكررنا القول فى هذه المجلة وغيرها أن اتخاذ الخط اللاتينى للغة العربية لا يعد اصلاحا . وأنه ليس هناك ما يجعلنا نتشبه بالترك أو الايرانيين فى هذه المسألة

ولكننا بعد سنوات من التأمل نرى أنه يحسن بنا أن نعود الى التفكير فى هذه المسألة . وربما يكون فى اقتناع الايرانيين بقيمة الخط اللاتينى وايثاره على الخط العربى حافز لاعادة التفكير فيه . فان فى خروج أمتين « شرقيتين » على الخط العربى ما يستحق التفكير العميق إذ هما بالطبع لم تصطنعا هذا الخط إلا لأسباب قوية تتصل برقيهما الاجتماعى والثقافى اتصالا قويا . ولذلك يجب علينا أن نفحص عن هذه المسألة من بعض الوجهات التى يصح أن ينتجها اتخاذ هذا الخط

وعندنا أن الخط اللاتينى يفضل الخط العربى من ثلاثة وجوه أولها أنه سهل الهجاء . فان الصبي المصري يقضي وقتا طويلا قبل أن يحذق الحروف العربية قراءة ووقتا أطول قبل أن يحذقها كتابة . ونحن نقول ان عندنا ٢٨ حرفا ولكن الواقع أن حروفنا تزيد على مائة لأن حرف الميم مثلا ليس حرفا واحدا بل هو ﻣ ﻤ م ﻢ . وحرف الفاء هو ﻓ ﻔ ف ﻒ . وقس على ذلك

وعلى الصبي أن يتعلم هذه الحروف قراءة وكتابة . وهو يقضى وقتا طويلا جدا فى درسها كان أحرى أن ينتفع به لو كانت حروفنا كالحروف اللاتينية ليس للحرف سوى شكل واحد سواء فى أول الكلمة أو وسطها أو آخرها . وهذا المجهود الذى يقضيه الصبي المصري يقضى أضعافه جمّيع الحروف فى المطابع . ومن هنا فشو الاغلاط فى جميع المطبوعات العربية وانعدامها فى المطبوعات الاوربية

ثم ان اعتمادنا على الحركات دون الحروف يجعل الغلط يتسرب الينا جميعا . ويجب على كل منا أن يحفظ الكلمة عن ظهر قلب حتى لا يخطىء فى نطقها . فكم منا من لا يعرف كيف تنطق هذه الكلمات . وقح . تؤدة . ميزة . مع أنها كلمات مألوفة ؟ ولو كانت هذه الكلمات تكتب بالحروف اللاتينية لأمكننا أن نضبطها بحروف الحركة فلا نختلف فى نطقها

ووجه ثان يفضل به الخط اللاتينى على الخط العربى أنه يمكننا من تعريب الكلمات الاوربية الحديثة فى العلوم والفنون . وقد ثبت عجزنا التام عن هذا التعريب حتى أننا تطوحنا فى تأليف كلمات لو أن مهرجا من المهرجين على المسارح قال بها لهلكنا من الضحك . ومحاولة أعضاء المجمع

اللغوي اختراع مثل هذه الكلمات يدل على أن المسافة بينهم وبين روح العصر بعيدة جدا . فان فى أوربا الآن علوما قد ألف عنها من المجلدات ما يزيد على ألف مجلد ولها مجلات تنشر عنها ومع ذلك ليس لها أسماء فى اللغة العربية . واذا كان اختراع الكلمات شاقا فان التعريب أى ترك الاسم كما هو فى اللغات الاوربية ليس سهلا علينا ما دمنا نكتب بالخط العربى . لان الاشتقاق يتضح فى مقاطع الكلمة اللاتينية فيساعد القاريء على التفهم . ولكنه لا يتضح فى مقاطع الكلمة العربية . واذا نحن اتخذنا الحروف اللاتينية سهل علينا درس هذه العلوم والفنون الجديدة التى نهضت باوربا وأصبحت كلها تقريبا ملكا شائعا بينهم . أما الآن فنحن غرباء عن حركة الثقافة الاوربية أى الثقافة العالمية والحاجز الذى يحجزنا عنها هو الخط العربى

ووجه ثالث لتزكية الخط اللاتينى هو القيمة السيكلوجية لهذا الانقلاب . فان لهذا الخط أثرا فى الذهن يتفق بل يزيد على أثر القبعة . وذلك أننا حين نتخذ القبعة نشعر من حيث لا ندري أننا قد انفصلنا عن آسيا وأفريقيا وأن سمة « الشرق » قد زالت عنا فلا نجد فى نفوسنا عائقا عن اتخاذ الحضارة الصناعية بل نقبل عليها ونسابق أوربا فيها

فقيمة القبعة هنا أنها تكسبنا العقلية الاوربية عقلية العصر الحديث . وكذلك الحال فى الخط اللاتينى فانه يقوي هذه العقلية فى نفوسنا ويجعلنا نعد بلادنا جزءا من أوربا أى قسما متمما للعالم المتمدن . وهذا هو الذى قصدت اليه تركيا وايران . فان احدى الدولتين لا تكره العرب ولا تنوى شر لعربى ولكنها عرفت أن الخط العربى مثل الطربوش يفصلها من أوربا فالغته واتخذت بدلا منه الخط اللاتينى

وقد استطعنا أن نصطنع الحضارة الاوربية ولكنا الى الآن لم نصطنع الثقافة الاوربية مع أنها هى العدة الذهنية لهذه الحضارة . والرجل المثقف عندنا هو الذى يحذق لغة أوربية تمده بهذه الثقافة . وقد وقف الهجاء العربى دون اصطناع هذه الثقافة الى الآن . وحاولنا اصلاح هذا الهجاء عبثا فى الخمسين من السنين الماضية

فلماذا اذن لا نتجرأ على مواجهة الحقائق ونعمد الى هذا الهجاء اللاتينى فنتخذه مع القبعة لكى ننسلخ من هذا « الشرق » الذى يدأب الرجعيون فى تذكيرنا باننا منه وباننا يجب أن نحافظ على آثاره فينا كأنها من البركات التى أنعم علينا بها الزمن . ولو سألت هؤلاء الرجعيين عما يفهمونه من مبادىء هذا الشرق وآثاره لما وجدت غير الحكومة الاستبدادية التى لا تعرف معنى لبدعة البرلمان ، وغير الحجاب للمرأة ، وغير السخرة للفلاحين ، ، وغير الكراهة لكل اصلاح اجتماعى يراد به مكافحة الفقر

هذا هو « الشرق » الذي يجب أن نقاطعه لكى نحيا حياة المتحضرين

قصة استقلال سويسرا

للدكتور ج . جندي

تعتبر قصة استقلال سويسرا من أروع القصص التاريخية فلقد رسم فيها السويسريون أبدع صور الشجاعة وأروع ضروب التضحية ضاربين للاجيال البشرية انطق الامثال فى محبة الوطن والذود عن الحرية المقدسة اذ هم كتبوا وثيقة حريتهم باقدس الدماء وشروها بأغلى الأثمان بمهج عزيزة وأرواح جياشة فتية

ولقد اثبتوا للعالم أن الفوز فى الحروب ليس لكثرة العدد والعدة بل للروح المعنوية التى بها يقاتل المحاربون وشتان بين من يحارب ذائدا عن حريته وبلاده وبين من يحارب مستعمرا مغتصبا وأثبتوا ايضا ان رجال الجبال اكثر محبة للاستقلال والحرية وأقدر على الدفاع فى سبيلهما من سكان السهول الذين هم فى الغالب أكثر منهم دعة واستكانة

ولقد دفعنى الى تسطير هذه القصة مناسبات ثلاث : —

أولا : اجتماع عصبة الامم بمدينة جنيف السويسرية

ثانيا : مصرع الملكة استريد ملكة البلجيك على شاطىء بحيرة لوسيرن السويسرية

ثالثا : وهو السبب الاهم هو الحرب القائمة بين ايطاليا والحبشة . ولما بين هذه وبين سويسرا من وجوه الشبه الجغرافية الكثيرة . ولان الدوافع التى حملت السويسريين منذ ستة قرون على محاربة النمسا تشبه الدوافع التى تحمل الاحباش على محاربة الايطاليين اليوم ونحن نرجو ان يكون نصيبهم من حربهم اروع من نصيب السويسريين فى حربهم الاستقلالية

فى الواقع تتكون قصة استقلال سويسرا من بضع قصص صغيرة تكون فى مجموعها تلك القصة الرائعة . وتبين كل منها مرحلة من مراحل جهاد ذلك الشعب الباسل والآن لنبدأ بها على التعاقب

قصة وليم تل

لبحيرة لوسيرن اهمية عظيمة فى تاريخ سويسرا اذ انبلج من شواطئها ذلك القبس الذى كون

فيما بعد شعلة الجمهورية السويسرية . كان السويسريون قبل ستمائة عام يرزحون تحت نير النمسا ولقد جرعوا امر غصص الاستعمار وكابدوا من المظالم الوانا أعواما طوالا ويقال أن « وليم تل » هو أول من تقدم الصفوف لتحطيم ذلك النير الظالم

كل طفل فى سويسرا لابد أن يبدأ معارفه العامة بتلقن قصة وليم تل الوطنى الخالد . ولقد بدأ العراك بين تل والنمسويين على الوجه الآتى —

كان يحكم سويسرا من قبل الامبراطورية النمسوية رجل فظ الطبع طاغية اسمه « جسلر » وانتابت صاحبنا يوما من الايام نوبة من الزهو والطغيان فأمر بعمود ينصب فى ساحة السوق فى مدينة صغيرة بقرب بحيرة لوسيرن تدعى « الدورف » ووضع علي هذا العمود قبعة وحتم على كل سويسرى يمر بهذا العمود أن ينحنى أمامه اجلالا لسادته النمسويين . وهاهو ذا تل يمر بهذا العمود مرفوع الرأس شامخ الانف غير آبه باوامر جسلر وكانه لم ير شيئا رغم العيون العديدة التى كانت ترمقه . وثارت ثائرة جسلر وأمر بالقبض على تل

كان جسلر يعرف أن تل صيادا ماهرا من الحقائق التى يعرفها الجميع أن سهمه لايخطيء الهدف مطلقا . فأمر الطاغية بابن تل يربط منتصبا الى جزع شجرة وتفاحة توضع على رأسه وأتى بتل وأمره أن يسدد سهمه الي تلك التفاحة أما اذا رفض أن يفعل ذلك فمصيره موت محقق فى المكان

تردد تل فى باديء الامر لانه كان يخشى أن يصيب رأس طفله بدل التفاحة ولكنه قبل أخيراً وجهز سهمين ووضع أحدهما فى القوس وبكل تيقظ وانتباه ترك لسهمه العنان . مرق السهم وانفلقت التفاحة نصفين بين اعجاب الجميع وبذا انقذ تل حياته وحياة طفلة بمهارته الفائقة

بعد ذلك سأله جسلر عن سر تجهيزه سهمين ولم تكن له حاجة الا الى واحد فقط . تردد فى الاجابة ولكنه بعد أن أمنه جسلر على حياته مهما كانت اجابته والاسباب التي دعته الى ذلك اجابه تل بكل شجاعة « لو اصاب أولهما طفلى لمزقت قلبك بالثانى » . عندما سمع ذلك جسلر غضب جدا وقال له « لقد أمنتك على حياتك ولكن لابد أن تقضيها فى الظلام الحالك في أعماق زنزانة سحيقة حيث تحجب الجدران الصماء اشعة الشمس عنك ولن ترمق عيناك ضياء القمر »

نقل تل مقيدا الى مركب جسلر لينقله الى مقره الجديد . فلما شرع المركب يمخر البحيرة

الحادثة وإذا بعاصفة تهب فجأة من التلال المحيطة بالبحيرة وإذا المياه تثور والامواج تصخب وأصبح البحارة فى خوف على أرواحهم . ذهبوا الى جسلر ملتمسين منه أن يصدر أمره لتل ليقود السفينة والا فجميعهم لا محالة هالكون لانهم كانوا يعلمون أنه أخبرهم بالسفانة . ففك تل من عقاله وتسلم الدفة التى أدارها خلال العاصفة بكل حذق وبراعة حتى وصل بها الى لسان صخرى يكون مرسى طبيعيا ما زال يعرف الى هذه اللحظة (برصيف تل) وقد اصطدمت المركب بهذا النتوء الصخرى فتمزقت وحمل تل سهمه وقوسه وقفز الى الشاطىء لائذا بالفرار

لقد نجا الا أنه أيقن أن لا نجاة له مادام جسلر الطاغية حيا يتربص به الدوائر مقتفيا أثره أينما ذهب وعلى ذلك عول على اخماد انفاسه ليتخلص منه الى الابد

تحول تل الى غابة على طريق منحدر كان لابد لجسلر من أن يجتازه فى طريقه الى قصره . هنالك مكث متربصا حتى سمع وقع حوافر خيول قادمة وتطلع من مخبئه فرأى جسلر الطاغية على حصانه بين الاعشاب فى مقدمة الجمع فسدد اليه سهما نفذ الي قلبه

لم يشك جسلر فيمن كان صاحب السهم القاتل بل صاح لتوه « سهم تل! سهم تل! »

وبقتل هذا الطاغية وضع تل حجر الاساس فى استقلال سويسرا الجمهورية

قصة ثلاثة حروب شهيرة

يوجد أناس يشكون فى حكاية وليم تل الصياد وجسلر النمسوى ولكن لايوجد من يشك فى ذلك النصر المبين الذى عقد لواؤه للسويسريين فى « مورجارتن » فى ١٥ نوفمبر سنة ١٣١٥

هنالك ثلاث مقاطعات بجوار بحيرة لوسيرن تعرف بمقاطعات الغابات الثلاث لما بها من الغابات الكثيفة صمم اهلوها على ان يطهروا ارضهم من ارجل النمسويين ولقد بادلهم الدوق النمسوى حاكمها عزما بعزم وصمم على ضربهم ضربة قاضية لا تقوم لهم بعدها قائمة . ولم تكن المسألة فى نظره عويصة فلقد كان لديه العدد الوفير من الجند مشاة وركبانا . رجال مدججون بالسلاح من اعلى رؤوسهم الى اخامص أقدامهم خبروا الحروب وبلوها فحذقوا اصولها وفنونها ولم يكن اعداؤه ومقاوموه الا شرذمة من الفلاحين الذين خدعهم حبهم لجبالهم ودفعهم تقديسهم للحرية وهيامهم بها الى التهور حتى انهم كانوا على اتم الاستعداد ليهرقوا آخر قطرة من دمائهم فى سبيل ذلك

لم تكن المسألة فى نظر النمسويين إلا « رحلة صيد وقنص » حتى انهم جهزوا انفسهم

بحمولة عربات عديدة من الحبال ليعودوا بالاسرى وقطعان الماشية مربوطين بهذه الحبال جارّين الكل وراءهم ... هكذا كانوا يتخيلون

وعندما علم رجال الغابات بما بيت لهم النمسويون دانهم يزحفون عليهم بجموعهم الجرارة تكاتفوا للذود عن حريتهم وحقوقهم وتجمع منهم ١٣٠٠ محارب ولم يكن لديهم سوى أتفه الاسلحة وكثيرون منهم لم يكن معهم سوى عصى غليظة ينتهي طرفها بكتل من الحديد . ولكن قبل ان يسدل الليل أستاره كانت هذه العصى المنتهية بالحديد قد ارتوت من اعز الدماء النمسوية

لقد تقدم النمسويون فى ٢٤ الفا من أكثر جنود النمسا حنكة ودرية تحت قيادة ليوبولد شقيق الدوق حاكم سويسرا النمسوي وزحفوا صوب تلك الشرذمة الضئيلة من الرعاة السويسريين (الذين عددهم ١٣٠٠) والتحم الفريقان عند منحدرات مورجارتن وفى هذه البقعة ممر ضيق ينحدر من قمة التل وكان على أحد جانبى هذا الممر جبل شاهق وعلى الجانب الآخر مياه البحيرة العميقة . وعلى رأس ذلك الممر وقفت تلك الشرذمة الضئيلة من السويسريين الذين لبثوا يترقبون طلائع أعدائهم فى هدوء وكان النمسويون يتدثرون بالمناطق الصلبية حول أجسادهم ومزودين بافتك الاسلحة . تقدم النمسويون يرقون المنحدر وهم واثقون من النصر ولكنهم ما كادوا يتقدمون صعدا إلا وخضم ينقض عليهم ليس من ماء بل من كتل هائلة من حجارة وصخور وجزع أشجار دفع بها الرعاة السويسريون من أعلى المنحدر هبطت متدحرجة مرعدة وانقضت كالصاعقة على تلك الكتائب النمسوية التى فى أسفل الممر ومما زاد الطين بلة أن خيول الفرسان قد فزعت وثارت وتقهقرت راكضة وأحدثت الهلع فى قلوب الجنود الذين تمزقت أجساد بعضهم على الصخور وولى بعضهم على أعقابهم خاسرين . لقد سنحت الفرصة للرعاة ليعملوا عملا خالدا مجيدا ولم يضيعوا الفرصة بل انتهزوها وانقضوا على فلول النمساويين وذبحوهم بالاسلحة التى أعدها النمسويون للفتك بهم . وحاول بعضهم الفرار ولكن الجبليين لحقوا بهم فى الممرات الضيقة واصطادوهم كما يصطاد الطير بالشباك وكثيرون من ركبانهم تركوا خيولهم ليهربوا على أقدامهم ولكنهم تزحلقوا على تلك الصخور حيث أفناهم الرعاة السويسريون الذين كان لهم من المسامير التى ثبتت خصيصا فى نعالهم خير معين على الثبات وعدم الانزلاق على تلك الصخور .

ومن العبث أن نسميها معركة اذ لم تكن معركة بل مجزرة فقد ذبح السواد الاعظم من النمسويين كما تذبح الشاة واندفع الكثيرون الى أعماق البحيرة والاقلية الضئيلة تمكنت من الهرب وكان

بين هؤلاء الذين نجوا هربا ليوبولد شقيق الدوق وتمكن من النجاة بشق النفس تاركا وراءه ميدانا فسيحا صبغت صفحته بحمرة قانية هي أعز الدماء النمسوية . أما السويسريون الشجعان فلم يسقط منهم سوى ١٤ رجلا .

لم يفتر السويسريون في بادىء الامر بل كان من الصعب أن يعتقدوا أنهم حازوا نصرا ولكنهم عند ما رأوا فلول النمسويين تولى الادبار علموا أن اليوم يومهم وركعوا على ركبهم ساجدين لله في ساحة مورجارتن التي - ولها الله ساحة ظفر ونصر وكان النمسويون يعتقدون أنها ستكون لهم قبرا شاكرين اياه على نعمة الحرية التي أسبغها عليهم بالخلاص من نير النمسويين الطغاة وحتى يومنا هذا مازالت الخدمات الدينية والاحتفالات الشعبية تقام في كل عام في هذه الساحة الخالدة تذكارا ليوم مورجارتن العظيم حيث يحج السويسريون رجالا ونساء لتمجيد تلك البقعة المقدسة التي على صفحتها كتب آباؤهم وثيقة حريتهم بدماء قلوبهم وكسبوا استقلالهم في احدى مواقع الحرب الفاصلة في التاريخ لانه بعد موقعة مورجارتن لم تفقد مقاطعات الغابات السويسرية حريتها مرة أخرى

قصة بطل لوسيرن الصغير

بعد أن ظفرت مقاطعات الغابات الثلاث باستقلالها بدأ أهل لوسيرن يتوقون الى حريتهم وينسجون على منوالهم واخيرا انضموا الي زمرتهم وبذا أصبحت مقاطعات الغابات المستقلة أربعا وهي التى تحيط بشواطىء بحيرة لوسيرن

لقد هاج النمسويين خروج مدينة لوسيرن من أيديهم وبدأوا يعدون العدة لاستردادها . وخرج النمسويون بقيادة شريف « روثنبورج » الذى عينه الدوق النمسوى ليتولى حكم منطقة بحيرة لوسيرن بعد اخضاعها والآن تبدأ قصة البطل الصغير

منذ أكثر من خمسمائة عام خرج غلام صغير اسمه بطرس فى احدى أمسيات الصيف الدافئة ليستحم فى البحيرة وبعد أن خرج من الماء وارتدى ثيابه أخذ منه التعب مأخذا فاستلقى على الشاطىء وراح فى سبات عميق ولكنه بعد حين استيقظ على وقع أقدام ورأى خمسة أو ستة رجال يزحفون بحذر على الشاطىء ولم يسر الغلام مرآهم ولا حركاتهم فقد كانوا يزحفون كاللصوص وصمم على أن يقتفى أثرهم ويتبع خطاهم ويحذر الحراس الذين كانوا يسهرون على المدينة . وعند

ما هم بالوقوف رأى شرذمة الرجال تقترب منه ثم تمر به وكان قائدهم شريف رونبورج عدو لوسيرن اللدود وقد عرفه غلام لاول وهله . ولقد كانوا يتحدثون في أثناء سيرهم بأصوات خافتة ولكن أذن الفتى الصاغية قد وعت مافيه الكفاية للدلالة على عظم الخطر المحدق بمدينته العزيزة

بعد أن مر هؤلاء الرجال قام بطرس يعدو خلفهم متخفيا عن أعينهم بالصخور والاعشاب وبعد برهة كانوا على مقربة من المدينة ولم يكن ثمت فاصل بين المنازل ومياه البحيرة سوي قطعة رملية وبعض الاعشاب والبوص ومع كل ذلك فقد بطرس أي أثر لهؤلاء الرجال الذين كان يتبعهم . أين ذهبوا ؟ ! وكيف اختفوا ؟ هل انسلوا الى المدينة عن طريق سري لايعرفه سواهم ؟

لقد أنعم النظر طويلا ثم أرهف السمع ولكنه لم ير شيئا فى الظلام الدامس ولم يسمع سوى انحسار الأمواج وتكسرها على صخور الشاطىء ولكنه سرعان مارأى فجأة ضوءا خافتا على مسافة صغيرة منه وما لبث أن ألقى بنفسه على الرمال وأخذ يزحف صوب الضوء وأخيرا وجد نفسه عند مدخل مغارة تشبه سردابا عظيما مظلما وقد عرف لتوه أين هو . .

كانت المغارة محفورة تحت أرض المدينة وتنتهى فى طرفها الادنى بمستودع سفلى . وكان لهذا المستودع السفلى باب سرى فى سقفه يصعد اليه على سلم وكان يؤدى هذا الباب السري الى اسطبل على سطح أرض المدينة ومن هذا الاسطبل وجد الاعداء منفذا سريا الى قلب المدينة . ان خائنا قد هدى هؤلاء الاعداء الى هذا الطريق وتركه لهم مفتوحا ولقد انضم الى جانب النمسويين فى آخر لحظة لانه قد سبق وقطع على نفسه أغلظ المواثيق على ان يظل سويسريا أمينا قلبا وروحا لقد كان الخائن هو « يوحنا مولترز » الغادر الخائن

انسل بطرس بطل لوسيرن الصغير الى المغارة وتمكن من سماع شخص يتكلم ولم يلبث أن عرفه . . يوحنا مولترز الخائن يلقى على الاعداء التعليمات التى يجب أن ينفذوها

أخذ بطرس يزحف شيئا فشيئا ليصير منهم عن كثب حتى يتبين خطتهم ويستجلى مؤامرتهم ياهول ماسمع . . ! الويل والثبور يتهددان أهله وعشيرته . صحبه وبنى وطنه . ولقد رأى بعينيه الحمم واللهب يتصاعدان مع زفرات هؤلاء الأعداء . . قبل ان تشرق الشمس على لوسيرن ستغرق شوارعها بأعز دماء أبنائها . . تلك كانت نيتهم التى صمموا عليها والتى عرفها من مناقشاتهم وأيقن الفتى أن المجزرة لابد واقعة مالم يبادر بتحذير والده ورجال المدينة وكان شخص من الاعداء خلفه فى المغارة . حاول الصبي أن يهرب ولكن جاءت محاولته متأخرة جدا إذ سرعان ما طوقته

يد جبارة دفعته الى الامام حيث تشع ذؤابة مصباح تجمعت حوله عصبة الاعداء وقد صاح ذو اليد الجبارة فيهم « جاسوس . . جاسوس »

حينئذ وضع كل منهم يده على مقبض سيفه استعدادا لتمزيق هذا الجاسوس الفضولى الى ألف قطعة ولكنهم كفوا عن ذلك عندما تبينوا أن جاسوسهم لم يكن إلا طفلا

ولكن مولترز الخائن اندفع الى الطفل بغضب وحدة ودار بينه وبين الطفل هذا الحوار —

« كيف جئت الى هنا » ؟

« لقد كنت نائما عند شاطيء البحيرة ولقد أيقظنى وقع خطاكم عند ما مررتم بى وعن لى أن أتبعكم —

« انى لا أصدق ذلك — لقد أرسلك بعض الناس لتتجسس علينا — من الذى أرسلك ؟ »

أجابه الطفل « لقد أصدقتك القول »

قال مولترز للغلام « خبرني من أرسلك » ثم قبض على ذراعيه ورماه على ركبتيه « الآن أمهلك دقيقتين لتحزم أمرك فاما أن تصارحنا أو تموت »

مرت دقيقتان ولم يجب الطفل . لقد فكر فى أمه وأبيه والخطر المحدق بوطنه ولكنه لبث صامتا

وأخيرا صاح مولترز فى حدة وغضب « يجب أن يموت »

عارضه بعض رجال العصبة قائلين « كلا . ان دم الطفولة برىء ولن يصادفنا خير إذ افتتحنا أعمالنا باهدار هذا الدم البرىء — دعه يقسم الا يخبر أحدا بما رأى أو سمع ثم دعه يذهب » .

لقد تم ذلك وأقسم الطفل أغلظ الايمان بالا يخبر اى كائن حى بما رأى او سمع فى تلك الليلة

بعد أن أصبح الطفل طليقا أخذ يعدو بأسرع ماتحتمل ساقاه صوب المدينة وعند مابلغ القاعة التى كان فيها أبوه ومواطنيه مجتمعين يتجاذبون أطراف الحديث فى شؤون المدينة ومصالحها وأذهانهم خالية مما يبيت لهم الاعداء وعن الجيش الكامن تحت مدينتهم ولا يلبث أن يأخذ طريقه الى قلب مدينتهم الآمنة ثم ينقض عليهم وهم نيام ويجعلهم كعصف مأكول

وقف بباب القاعة برهة ولم يكن يدرى ماذا يفعل . لقد أقسم ألا يخبر أى كائن حي بما رأى وبما سمع . . . وهو طفل شريف سوف يبر بقسمه . . ولكن سوف ينكفىء رجال لوسيرن الى مضاجعهم ولكنهم لن يعاينوا الشمس مرة أخري . . عشاق الحرية فى خطر . . . سيذبحون اذا ما انتصف الليل . إذن فليعمل عملا . . . فى غمارة ذلك الاضطراب النفسى لاحت

فى مخيلة الطفل فكرة عول على تنفيذها أجل . . بها يحتفظ بقدسية القسم الذي أخذه على عنقه وفى نفس الوقت يحذر هؤلاء الاحرار دون أن يتحدث اليهم . وهو بالغ كل ذلك إذا تحدث الى جماد مفضيا اليه بمخبوء قلبه

دخل الطفل الى القاعة وتوجه لتوه صوب موقد من الصينى يحتل وسط القاعة الرحبة وصاح موجها الكلام الى الموقد « أيها الموقد . . لقد رأيت وسمعت أشياء عجيبة ومرعبة سوف لا أخبر بها أى كائن حيّ ولكننى سأخبرك بها أنت وحدك أيها الموقد »

أما الرجال الذين فى القاعة فقد أخذ منهم العجب كل مأخذ عند ما رأوا الطفل يدخل القاعة ويتوجه توا ومباشرة إلى الموقد وقد زادت دهشتهم وحيرتهم عند ما رأوه يتحدث الي الموقد ولقد ظنوا أنه به مسا من الجن ولكنهم سرعان ماغيروا رأيهم بعد أن سمعوا ماوجه من خطاب إلي الموقد . وأيقنوا أنه لم يقل إلا صدقا وللحال قاموا الى اسلحتهم وعدد قتالهم

انتصف الليل وبدأ النمسويون يخرجون من مخبئهم الارضى وبدأوا هجومهم ولكنهم لم يجدوا مدينة هاجعة بل زمرة من الجبابرة اليقظين المدلهين فى حب سويسرا والحرية مدججين بالاسلحة فى انتظارهم

لقد تبخرت أحلام النمسويين وتناثرت أوهامهم . كان الصراع عنيفا وسقط الكثيرون صرعي فى شوارع لوسيرن ولقد أشرقت الشمس فى الضحى على اشلاء النمسويين تملأ الشوارع وتسد الطرقات وانجلى النهار عن اندحار النمسويين الطغاة . . فقد هزأت بهم المقادير وويل لمن تهزأ به المقادير . ولقد قابل السويسريون شمس الضحي هاتفين مهللين لانه بعد مذبحة نصف الليل لم تعد رجل نمسوية تخطر فى حدود لوسيرن خطرات النفوذ والسيادة مرة أخرى . لقد كسبت المدينة وثيقة حريتها الي الابد وطفل صغير كتب هذه الوثيقه الخالدة

قصة أبطال سولير

والبطل ارنولد ونكاريد

بعد أن استقلت مقاطعات الغابات لبثت الحروب ناشبة زمناطويلا بين السويسريين والنمسويين إذ لم يكن الدوق النمسوى لينسى عصيان السويسريين وتحطيمهم لنير النمسا وخروجهم عن حدود الادب بتحررهم وخروجهم من يد سادتهم وأولى نعمتهم وكان دوما متحفزا ليغزو أى مدينة أو

مقاطعة سويسرية ليصب جام غضبه على هؤلاء الفلاحين الذين دفعهم غرورهم ببلادهم وحبهم لجبالهم وحريتهم إلى التهور ونكران الجميل وقد اختار مدينة سولير هدفا لسياط تأديبه

فى قصة أبطال سولير تتجلى للعالم تلك الروح المستبسلة النبيلة التى ناضل بها السويسريون وكافحوا فى سبيل استقلالهم

ضرب ليوبولد النمسوى الحصار على مدينة سولير وهي على نهر الآر ظانا أنها لن تلبث طويلا حتى تسلم خصوصا بعد أن تمكن من أسر ابن زعيم المدينة . وكم هدد الدوق الوالد بقتل ابنه مالم يسلم المدينة ولكن لم يتأثر بوعيده لا الوالد فى لوعته ولا الابن فى غمرة أسره واستمر الحصار . بنى الدوق قنطرة على النهر وأقام شرذمة كبيرة من الجند على هذه القنطرة ليمنعوا المؤن عن المدينة حتى يضطرها الجوع الى التسليم . لم يكن بناء القنطرة محكما إذ ساخت تحت أقدام الجنود النمسويين الذين اندفعت جموعهم إلى أعماق النهر . هل فرح رجال سولير بما حل بأعدائهم ؟ وهل سرهم مرآهم يندفعون إلى اغوار المياه الصاخبة تدفعهم أمامها كما تدفع المكنسة الاقذار فى طريقها؟ كلا بل اندفعوا الي النهر مناضلين الامواج منقذين هؤلاء الاعداء . لم ينظروا اليهم نظرة العدو للعدو بل الاخ الحنون الى أخيه المشرف على حتفه . لم يكتفوا بانقاذهم بل صحبوهم الى مدينتهم حيث أضافوهم مقدمين لهم أشهى الطعام وأعذب الشراب وأعادوهم بحفاوة الى معسكراتهم .

لقد اندهش ليوبولد من هذا الروح السامي وسحره هذا الخلق النبيل فجاء الى أبواب المدينة فى ثلاثين من أبطاله فقط راجيا من شعبها النبيل أن يقبلوه لا غازيا فاتحا بل صديقا مقرا بالجميل وقدم للمدينة علما رمزا للسلام جلي عن المدينة

وهكذا فك الحصار وتحررت سولير لا بالسيف بل بمروءة أهلها ونبالة خلق بنيها

* * *

هنالك حرب شهيرة تعرف بحرب سمباخ وقعت سنة ١٣٨٦ وفيها خلد أرنولد ونكاريد اسمه العظيم فى الاقاصيص والاغانى السويسرية

رجع الدوق ليوبولد مرة أخرى ليرد السويسريين المعاندين إلى صوابهم وأراد أن يغزو مدينة زيورخ فى جيش كامل العدد والعدة وكان رجاله يحملون الحراب الطويلة والدروع وخرجت شرذمة صغيرة من السويسريين لمقابلة قوى النمسا الهائلة والتحم الفريقان فى سهول سمباخ

فى يوم الموقعة غادر النمساويون صهوات جيادهم تاركين خيولهم تجنبا لذكرى ما أصابهم فى

يوم مورجارتن حين فزعت الخيول وتقهقرت وزادت الهزيمة وآمنوا أن الحرب على الاقدام آمن لهم منها على صهوات الجياد ولكنهم شعروا باشمئزازمن جراء نعالهم ذوات « الكعب العالى » وكان ذلك هو الزي المتبع في تلك الايام ورأوا خلع هذه الكعوب وتم ذلك في ميدان مازال يعرف « بمراعى الكعوب » ثم تقدموا للحرب

بدأ النمسويون الهجوم وحرابهم الطويلة أمامهم وكان عددهم كثيفا وكروا على السويسريين القليلي العدد والعدة . بدأت المعركة وبالا على الجبليين الشجعان فقد خر منهم ستون ذبيحا قبل أن يخر نمسوى واحد ولم يستطع السويسريون أن يجدوا منفذا الى قلب هجوم أعدائهم لان حراب الصف الاول من هؤلاء كانت تمزق صدورهم قبل أن يخترقوه

حينئذ تقدم صفوف السويسريين أرنولد وينكلريد النبيل وصاح بحماسة وشجاعة مستنهضا صفوف الجبليين الذين بدأ الفزع يتطرق الى قلوبهم من نتائج المعركة الاولي وصرخ فيهم « سأفتح لكم طريقا أيها الرفاق . اعتنوا بزوجتي وأطفالى »

اندفع البطل بكل جسمه مفتوح الذراعين قاذفا بنفسه على الصف الاول من النمساويين الذين قابلوا اندفاعه بأن حولوا جميع حرابهم نحوه وقد انغمست أطراف كل الحراب التى كان فى مقدورها أن تصل اليه فى جسمه . وبهذه الهجمة فتح البطل ثغره فى صفوف النمسويين اندفع منها السويسريون بسرعة خاطفة الى قلب النمسويين والتحمو بهم جنبا الى جنب وبذا أصبح عمل الحراب الطويلة ضعيف الاثر بعد ان انعدمت المسافة وهنا لاحت الفرصة لسيوف الجبليين لتعمل عملا مجيداوهذا ماقد حصل فقد تركوا لها العنان وكذا لعصيهم ذوات الاطراف الحديدية واتسعت الثغرة وخر النمسويون صرعى والدوق ليوبولد الذى كان يحارب فى الصف الاول خر ذبيحا

لقد انتصر الجبليون انتصارا رائعا وأصبح أرنولد ونكلريد رمزا خالدا لمحبة الوطن والتضحية وأصبحت كلمته فى زملائه أنشودة الرمز النبيل للتضحية والوفاء مصدرا لشحذالهمم والحمية والحماسة

« أفسحوا الطريق للحرية . . . أفسحوا الطريق للمجد »

ثم أغمض البطل عينيه الى الابد

الالعاب الاولمبية

آلة جديدة للألعاب الأولمبية

يتحتم عند الوصول من المسابقة في الركض او السباحة ان يلاحظ أمران يختلف كل منهما اختلافا تاما عن الآخر . أحدهما تحديد درجات الوصول والآخر تسجيل الزمن الذى يصل فيه المتبرون بكل دقة وضبط

وحدث ابان الالعاب الاولمبية الاخيرة أن أزمنة الوصول أخذت بواسطة كرونومترات تحرك باليد . وكان يكتفى حينئذ بحساب فروق أزمنة الوصول بنسبة ١/١٠ من الثانية وقد يحدث فى احيان كثيرة انه لا يمكن التميز فى ترتيب الوصول الا بمسافة بضعة سنتيمترات فمن المستحيل إذن أن يسجل فى كل وقت الترتيب على نسبة ١/١٠ منه

ولهذا السبب لجيء الى الآلات الفوتوغرفية والسينما توغرافية وقد جرب الامريكيون منذ عدة سنين آلات تجمع بين الحالتين فتسمح بأخذ المناظر وتسجيل الوقت والزمن . وقد اخترع الرياضى الامريكى المعروف جوستا فوس تاون كيربى آلة أدت انباء الالعاب الاولمبية الماضية الى نتائج مرضية جدا

وفيما يختص بالالعاب الاولمبية الحادية عشرة التى تقام فى برلين ارسلت لجنة التنظيم الى « الهيئة الفنية الرياضيه الالمانيه » تطلب منها آلات كهذه وبعد تجارب عديدة وعمل مستمر بالاتفاق مع شركتى زايس أيكون واجفا الفوتوغرافيتين الالمانيتين حصلت الهيئة على آلة شبيهه بالتى وضعها الامريكى كيربى مع اتحاد الآلتين فى المبدأ الذي صنعت على أساسه . ومع ذلك فقد قام الدليل على صلاحية هذه الآلة فى مباراة الامم الخمس التى جرت فى برلين يوم ٣١ اغسطس

ويستعمل فى هذه الآله الافلام العاديه وعدسة ستيرسكوبيه تجعل فى الامكان أخذ أفلام للوصول في أدق تفاصيله واقل دقائقه . والسلبى يتحول الي ايجابى بعد

تكبير خاص يحدث بمنتهى السرعة . ثم يعرض بعد اثنتى عشرة او خمس عشرة دقيقة ثم ان آلة أخذ المناظر المزودة بعد ستين متساويتين تشتغل بسرعة مائة صورة فى الدقيقه وتدور ببطء . والافلام ملونه أحدها بالاحمر والآخر بالاخضر ويعرض كل منهما على الآخر .

فاذا نظر الانسان الى الصورة من خلال منظار ملون بهذين اللونين فان العين اليسرى ترى الصورة الكاميرا اليمنى ، والعين اليمنى ترى الصورة الكاميرا اليسرى . وهكذا يستطيع المشاهد ان يرى المسابقة فى كل وقائعها ولايبقى بعد ذلك أي شك فيمن يكون أول من يدخل بعد قطع الشريط

وعدا هذا فان الشريط يدور ست مرات فى البطء أى بسرعة ١٦ صورة فى الثانية فيجعل فى امكان الجميع مشاهدة ترتيب الوصول وبحثه بكل هدوء . ومن البديهي انه يمكن عرض الشريط بقدر مايراد من المرات حتى يتم الاتفاق على رأى قاطع .

غيته والفكرة الاولمبية

بمناسبة يوبيل جمعية غيته التى الدكتور ليوالد الوزير المتقاعد ورئيس لجنة تنظيم الالعاب الاولمبية الحادية عشرة خطابا فى أعضاء هذه الجمعية الذين اجتمعوا للاحتفال بذكرى مرور خمسين سنة على تأسيسها فقال انه يقدم جائزة بمبلغ ٧٥٠ ماركا لمن يكتب أحسن مؤلف علمي يكون موضوعه « غيته والفكرة الاولمبية » . ويجب أن يقدم هذا المؤلف الى رئيس الجمعية فى موعد نهايته يوم ٣٠ ابريل سنة ١٩٣٦ . وستذاع شروط هذه المسابقة فيما بعد

وقد قال الدكتور ليوالد فى خطابه « لا يوجد أى ميدان من ميادين العلم والفن لم تتبين فيه: فكرة غيته على حقيقتها . غير أن وجهة نظره نحو التربية البدنية وتأثيرها فى الرجل وعقله لم تبسط حتى الآن بكيفية جلية ولم أعرف فى هذا الشأن سوى مؤلف لموريس فى سنة ١٩٠٥ قال فيه

« ان حركات الجسم كانت دليلا علي الحيوية فى شباب غيته »

ونحن نقصد من الفكرة الاولمبية الفكرة الاساسية التى يفرضها الانسان على نفسه لغاية سامية وهي تقوية شخصه بتمارين جسمية تكون مصحوبة بثقافة روحية وفنية . ولم يكتب غيته نفسه شيئاً عن موضوع الالعاب الاولمبية ولكننا نعرف انه ترجم شعر بندار الاولمبي . ونعرف الوصف الحماسى الذى وصف به مباراة لعبة الكف التى جرت بين مندوبى المدن الايطالية وحضرها بنفسه من فيرونا « وكذلك نعرف ماقاله فى اكرمان » عن أهمية التمارين التدريجية للجسم وقد استطاع غيته بمسلكه أن يوفق بين الفكرتين فكرة الجسد وفكرة الروح بعد ان دام التفريق بينهما باقياً منذ القرون الوسطى . وقد سعي لازالة هذا التفريق بالتوفيق بين الفكرتين على الوجه الصحيح البارز فى الالياذة . فهو اذن جدير بان يطلق عليه أيضا لقب الرياضى .

ابواب المجلة الجديدة

١- اخبار اقتصادية

٢- اخبار اجتماعية

٣- تقدم العلوم والفنون

٤- المرأة والمنزل

٥- الكتب الجديدة

٦- حديث الادب والادباء

أخبار اقتصادية

قطن الجزيرة بالسودان

الجزيرة ، وهي سهل مثلث الشكل واقع بين النيل الابيض والنيل لازرق ، أهم منطقة فى زراعة القطن فى السودان المصرى الانجليزى ، وتبلغ مساحتها قرابة ٥،٠٠٠،٠٠٠ فدان منها ٣،٠٠٠،٠٠٠ فدان صالحة للزراعة إذا توافرت مياه الري اللازمة لها ، إلا أن مساحة الاراضى التى زرعت قطنا لم تتجاوز ٢٠٥،٠٠٠ فدان ، ويقدر ما يمكن إنتاجه من القطن بما يتراوح بين ١،٠٠٠،٠٠٠ و ٥،٠٠٠،٠٠٠ بالة ولكن المحصول الفعلى لم يزد على ١٦٧،٠٠٠ بالة ويقل متوسط المحصول السنوى عن ذلك كثيرا

وقد تنبه اللورد كتشنر الى مستقبل الجزيرة كمنطقة صالحة لزراعة القطن وذلك أيام كان حاكما عاما للسودان ، وما كان أسرعه فى ادراك ما سيكون عليه مستقبل هذه البلاد اذا نظمت وسائل الرى ولكنه ، ككثير من المهندسين الذين درسوا هذا الموضوع ، قد غاب عنه كثير من المسائل الزراعية الخفية التى ظهرت آثارها فيما بعد ، وكان القطن حتى عام ١٩١٢ يزرع فى مساحة ضيقة ويروى من مياه النيل الازرق بواسطة الآلات الرافعة ، وكانت هذه التجارب مشجعة على الاهتمام بهذا الامر الى أن وصل الى الحالة التى هو عليها الآن حتى باتت مساحة الاراضى التى تزرع قطنا من الانواع المصرية فى الجزيرة نحو ٢٠٠،٠٠٠ فدان

ومنح امتياز زراعة القطن لشركتين انجليزيتين إحداهما شركة زراعة القطن بالسودان والاخري شركة القطن بكسلا ، وينص الامتياز على أن الحكومة مسئولة عن إمداد الشركة بالمياه اللازمة للرى مع صيانة أعمال الرى الكبرى ، ويقدم الاهالي العمال وتشرف الشركتان على بذر القطن وزراعته وجنيه وبيعه ، ويقسم صافى الارباح بنسبة ٤٠ ٪ تقريبا للحكومة و ٤٠ ٪ للزراع و ٢٠ ٪ للشركتين

ويجرى الاشراف على هذه الاراضى باعتبارها مزرعة كبيرة ، وتنحصر كل السلطة فى شخص رئيس الموظفين ، وقد قسمت الاراضى المزروعة الى عدة مناطق تبلغ مساحة كل منها ٢٠،٠٠٠ فدان تحت إشراف موظف انجليزى يساعده موظفان انجليزيان أو أكثر وعدد من الموظفين

المساعدين الوطنيين ، وقد أنشىء نظام الرى بطريقة يسهل معها رى كل منطقة فى فترات معينة من الموسم الزراعى ، وتتصل مراكز رياسة المناطق تليفونيا بمركز الرياسة الكبرى . وتجرى الاعمال كلها حسب نظام موضوع

وتنقسم كل منطقة الي عدة مناطق صغيرة مساحة كل منها ٣٠ فدانا يزرع الفلاح الوطنى منها عشرة أفدنة بالتناوب كل عام وعلى ذلك يبقى ثلثا الارض أو اكثر بورا ، ومن واجبات الملاحظ أن يتأكد من أن المزارع يقوم بالبذر وأعمال الري والزرع والجنى فى أوقاتها

ويزرع القطن عادة في نهاية فصل الامطار الذى يبتدىء فى الايام الاولى من أغسطس وتتولى الشركة عمليات الحراثة وعدا ذلك لاتستعمل الآلات الميكانيكية فى مختلف أعمال الزراعة فى منطقة الجزيرة . ويحل موعد الجنى فى شهر ديسمبر أو يناير وينتهي فى آخر شهر ابريل أو أوائل شهر مايو ، ويعبأ القطن فى اكياس كبيرة فى الحقول ثم ينقل على ظهور الجيادالى محطات السكة الحديدية حيث يشحن الى المحالج وهناك مركزان فقط للحلج وهما تابعان للشركة وتحت ادارتها وفيها يقسم القطن الى ثلاث أو أربع مراتب حسب النظام المتبع فى تلك البلاد ، وتحلج أقطان كل رتبة على حدتها ، وبالات القطن كلها على شكل واحد وزن الواحدة منها نحو ٤٠٠ رطل وتكبس كبسا شديدا ولا تقطع أية بالة لمعاينة نوع قطنها ، ويتبع فى حلج القطن نظام من شأنه أن تكون البالات غاية فى النظافة وتنقل الاقطان على السكة الحديدية الى ميناء بور سودان

البرنامج الجديد المعروض

ذكرت الصحف ان البرنامج الذى وضعه المستر لويد جورج لتجديد الصناعة والزراعة قد رفضته الوزارة البريطانية . وعللت رفضها بأنها رأت ان التكاليف كثيرة وانها هى فى الوقت نفسه تسير بما يشبه هذا البرنامج الذي وضعه المستر لويد جورج ولكن مع الاعتدال . وقد الف فى بريطانيا حزب يدعو الى تنفيذ هذا البرنامج المرفوض وقرأنا نقدا لكتاب وضعه احد المؤلفين يشرح فيه مقترحات المستر لويد جورج فيما يزيد على ثلثمائة صفحة ومن الممكن بل من المرجح ان يرشح بعضهم فى الانتخابات القادمة للدفاع عنه

ولذلك نرى ان ننشر هنا خلاصة عن هذه المقترحات حتى يقف عليها القراء وخاصة لانها من تفكير رجل اجتماعى هو الذى قدم للبرلمان سنة ١٩١٠ مشروع المعاشات للمسنين وهو ينص على

أن كل رجل أو امرأة بلغت ٦٥ سنة لها الحق فى الحصول على معاش أسبوعى من الحكومة يبلغ ثلاثين شلنا أو ما يكمل دخلها الى هذا المقدار

والبرنامج يشمل أشياء كثيرة منها

١ — عقد قرض مقداره ٢٥٠ مليون جنيه يرصد للقيام بأعمال أو مشروعات عامة منتجه وخاصة مدة السنتين القادمتين وتؤلف لجنة وطنية للاستغلال تبحث موارد الامة وتنظم اقتصادياتها

٢ — تؤلف الوزارة من رئيس الوزراء وأربعة أو خمسة وزراء ليس لهم وزارات أى ليس عليهم واجبات وزارية خاصة

٣ — تسيطر على « بنك انجلترا » هيئة مؤلفة من ممثلى المالية والصناعة والتجارة . وهذه الهيئة مسئولة أمام الامة

٤ — تبنى الحكومة بهيئاتها المختلفة مليونين من المنازل الجديدة فى السنوات القليلة القادمة وتحصل الحكومة على ثمن البناء من الزيادة التى تحدث فى أثمان الارض نتيجة للمباني التى بنيت عليها أو بجوارها

٥ — تنظم الطرق بحيث يزدوج كل طريق فيحتوى على طريق للاقدام وآخر للبسكليتات وثالث للمركبات

٦ — يبنى جسر تشارنج كروس . ونفق تاين وجسر سيفرن

٧ — تضم الحكومة اليها مناجم الفحم وتنظم الطرق التى يستغل بها الفحم تنظيما تاما

٨ — تؤلف هيئة حكومية جديدة لتنظيم صناعتى الحديد والصلب . وهذه الهيئة تبقي دائمة للاشراف عليهما

٩ — تؤلف هيئة أخرى مماثلة للهيئة السابقة لكى توفق بين صناعات القطن

١٠ — تتخذ اجراءات لزيادة قوة الشراء بين الفلاحين فى الصين والهند لكى يشتروا البضائع البريطانية

١١ — ينشأ نصف مليون عزبة تسلم لنصف مليون فلاح أو عامل لكى يعيشوا فى الارض ويلغي نظام الحصص ولكن تحمى المحصولات الزراعية من الاقطار الاجنبية ومن المستعمرات الحرة بمكوس جمركية

١٢ — ترفع السن التي يمكن الصبيان أن يتركوا فيها المدرسة الى ١٥ سنة وتخفض أيام العمل الاسبوعية الى خمسة أيام

١٣ — يعطى معاش الشيخوخة عند سن الستين بدلا من الخامسة والستين بحيث يتعهد من يتسلمه ألا يعمل للتكسب

هذا هو خلاصة المشروع أو المقترحات التي عرضها المستر لويد جورج ورفضتها الحكومة البريطانية . والمتأمل لها يجد أن الروح الاشترا كى يسودها جميعها . فان المستر لويد جورج يريد ان يجعل الحكومة تقوم بطائفة كبيرة من الاعمال يقوم بها الافراد الآن

فهو يريد منها أن تبنى مليونى منزل وأن تمتلك مناجم الفحم وان تنزع على الاقل خمسة ملايين فدان من أصحابها لكى تسلمها لنصف مليون فلاح ، وهذا زيادة على انشاء هيئتين تكون لكل منهما الكلمة العليا في صناعتى الحديد والقطن

الاسمنت المصرى

اقترح قسم المباحث الصناعية بمصلحة التجارة والصناعة انماء صناعة الاسمنت فى مصر بادخاله فى عدة صناعات هامة حيث لا يوجد فى مصر لا الحديد ولا الخشب اللازمين لسد حاجتها الحالية ومن المستطاع الاستعاضة عن بعض ما يصنع من الخشب أو الحديد بمنتجات مماثلة لها مصنوعة من الاسمنت كما يفعل فى كثير من البلاد الصناعية المتقدمة فى الخارج

ونذكر من بين هذه المنتجات أعمدة التلفون والتلغراف ومواسير المجارى والقطع الخشبية التى توضع تحت قضبان السكك الحديد ومن الممكن أيضا الاستعاضة عن الاسفلت بالاسمنت لفرش الشوارع لأن الاسمنت يبقى زمنا طويلا وتكاليف صيانته زهيدة جدا

ويقترح قسم المباحث الصناعية فى هذا الصدد أن تشكل لجنة من الفنيين بمصلحة التجارة والصناعة وبعض الاخصائيين من المصالح الأخرى وذلك للبحث الى أى حد يمكن الاستعاضة عن الأصناف المصنوعة من الخشب او الحديد أو الاحجار التى تستورد من الخارج بمثيلاتها المصنوعة من اسمنت البلاد ، وبذلك يمكننا توفير مبالغ طائله تتسرب فى كل عام الى الخارج لشراء الادوات الحديدية الخشبية .

فاكهة جديدة

تعمل وزارة الزراعة على الاكثار من الفاكهة المعروفة بليمون دانكن . وهو نوع يشبه

الليمون فى اصفرار لونه ولكنه يعادل البرتقال فى كبر الحجم . وقد كثر الاقبال عليه في السنوات الاخيرة فى الولايات المتحدة وانجلترا أو بعض البلاد الاوربية حيث يستهلك الآن بمقادير كبيرة . والطريقة المتبعة فى أكله أن الليمونة تشطر في المساء شطرين ثم ينثر عليها السكر وتبقى حتى الصباح لتتناول مع طعام الافطار

وقد عهدت وزارة الزراعة فى تجربة زراعته منذ خمس سنوات الى اخصائى مصرى من رجال قسم البساتين . فاسفرت تجربته فى الوجه القبلى عن نجاح فى هذا النوع ووفرة فى المحصول، وهو الآن يزرع في مناطق متباعدة ، ولكن المنتظر أن تكثر زراعته ويزداد الصادر منه الى الخارج فقد صدرت أخيرا مقادير قليلة منه فبيعت بأثمان غالية

اللوف

قليل منا من يعرف ما استحدث من ثمر اللوف من أدوات واستجد من منافع . وأقل من هذا القليل من يعرف الشيء الكثير عن انبات هذا الثمر وما طرأ عليه من اصلاح تقتضيه سنة التطور ويملأ به فراغا ملحوظا فى مرافق الناس

يستعمل ثمر اللوف فى مرافق منوعة عدة . فهو يتخلل ثنايا نعال الاحذية . وهو يستخدم فى صناعة البنتفليات وقطع الاستحمام . وممامسح تستعمل فى المطابخ . واللعب ، وحشايا القبعات الى غير ذلك من الادوات . والاقطار التى يصدر اليها هى

انجلترا ، المانيا ، فرنسا ، الولايات المتحدة ، روسيا وغيرها

ويمتاز اللوف اليابانى بذيوع صيته ورواج سوقه فى سائر أنحاء العالم ، ذلك لأنه جيد الثمر ، دقيق الصنع ، رفيع الصنف . ويبلغ ما ينتج منه كل عام نحو الـ ١٢ مليون قطعة يستورد العالم منها نحو ١٠ ملايين قطعة . وخير ما تصدر اليابان من ثمر هذا النبات ومنتجاته هو الذى ينبت فى اقليم « شيزوكا » ذلك لأن موقعه الجغرافى وطبيعة جوه وتربته أصلح ما تكون لاخراج هذا النبات اللوفى زكيا مقبولا

اخبار اجتماعية

العطل فى مصر

صدرر تقرير مكتب العمل وقد تناول موضوعات كثيرة . وقد أشار الى أعمال لجنة مكافحة البطالة بين العمال وأظهر أن عدم وجود وسيلة تكفل الوصول الى احصاء دقيق كان من أهم العوامل التى زادت فى صعوبة حصر العمال والصناع العاطلين وفضلا عن ذلك فان ما اعتاده أغلب العمال من العمل أياما متقطعة وتفضيلهم فى عدة حالات هذا النوع من العمل قد زاد مهمة هذا الاحصاء تعقيدا فقد جرت العادة فى كثير من الورش الصغيرة وبين جماعات الصناع التى تكثر فى المدن الكبرى انه اذا أتم بعض العمال عملا ما وحصلوا على شىء من المال استراحوا عدة أيام وربما عدة أسابيع قبل أن يشرعوا فى البحث عن عمل آخر على أن الازمة الاقتصادية الاخيرة قد كانت سببا فى تعطيل كثير من العمال وأرباب الحرف بغير ارادتهم كما ترتب عليها كثرة العاطلين من حاملى الشهادات الدراسية وحالة هؤلاء تستوجب العطف أكثر من حالة العمال اليدويين الذين لهم الى حد ما دراية باحدى الصناعات فى حين أن المعلومات التى حصل عليها حاملو الشهادة الابتدائية أو الثانوية هى سلعة كاسدة فى سوق العمل

وقد عمل فى شهر فبراير سنة ١٩٣٢ احصاء عن العمال العاطلين ماعدا المشتغلين منهم بالزراعة كما عمل احصاء آخر فى شهر مارس سنة ١٩٣٤ وكانت نتيجة كل منهما أن عدد العاطلين بحسب هذين الاحصائيين أقل بكثير من الحقيقة ويرجع السبب فى مثل هذه الاحصاءات الى الاشاعات الكاذبة التى أذيعت فى أوساط العمال عن الاضرار التى تلحقهم من جراء تقييد أسمائهم فى هذه الاحصائيات

وفيما يلى أهم الاقتراحات التى تقدمت بها لجنة مكافحة البطالة :

١ — تخفيض عدد أيام العمل فى الأسبوع لعمال المياومة بمصالح الحكومة تبعا لظروف كل منها حتى يمكن استبقاء العمال الزائدين على الحاجة

٢ — ادراج شرط فى العقود المتعلقه بالاعمال الجديدة يلزم المقاولين بايقاف العمل يوما فى الاسبوع

٣ — تجزئة الكميات اللازمة من التوريدات العامة كالاحذية والملبوسات وغيرها ويمكن أن يشترك فى المناقصات الخاصة بها أصحاب المصانع المحلية الصغيرة

٤ — حماية صناعة الاسمنت بمصر من المنافسة الاجنبية وذلك برفع قيمة الرسوم الجمركية على الاسمنت الوارد من روسيا

٥ — منع موظفى الحكومة من العمل فى المحال الصناعية والتجارية فى أوقات فراغهم

٦ — منع المدارس الصناعية الحكومية ومصلحة السجون من منافسة المصانع الخاصة

٧ — منح البلديات والمجالس المحلية المال اللازم للقيام بالاعمال الجديدة كالانارة والمياه والمجارى

وقد كان من نتائج هذه الاقتراحات تخفيف وطأة البطالة الي حدما بين العمال المشتغلين بالصناعة

جمعيات التعاون وامتيازاتها

لجمعيات التعاون فى مصر امتيازات يمكن حصرها فيما يلى :

١ — الاعفاء من الرسوم النسبية

٢ — الاعفاء من رسوم تسجيل عقود الممتلكات

٣ — الاعفاء من رسم التصديق على الامضاءات

٤ — اعفاء الجمعيات التعاونية من دفع مصاريف انتقال وبدل سفر كاتب عند انتقاله الى محل اقامة اعضاء الجمعية للتصديق على امضاءاتهم

٥ — الاعفاء من التأمين المؤقت فى المناقصات

٦ — الاعفاء من الرسوم الجمركية على العدد والآلات التأسيسية فى السنتين الأوليين

٧ — تخفيض ٢٥ فى المائة من أجور نقل العدد والآلات المذكورة بالسكك الحديدية الاميرية

٨ — تخفيض ١٠ فى المائة من رسوم التحليل في معامل وزارة الزراعة

٩ — تخفيض ١٠ في المائة من رسوم تحليل المواد الغذائية فى معامل مصلحة الصحة

١٠ — يخصص ٥ فى المائه من ثمن البذور والاسمدة التى يبيعها بنك التسليف الزراعي للجمعيات التعاونية

١١ — تخفيض ٢ فى المائه من سعر الفائدة عن سلفيات بنك التسليف الزراعى المصرى اذ

تعطى للزراع بسعر ٧ في المائة وللجمعيات التعاونية بسعر ٥ فى المائه

١٤ — تخفيض ٥ في المائة من الثمن المقرر للاشجار التى يبيعها قسم البساتين بوزارة الزراعة

١٣ — تمنح وزارة الزراعة الجمعيات التعاونية التي تقوم بتدخين أشجار أعضائها امتيازات خاصة

١٤ — يمنح بنك التسليف الزراعى الجمعيات التعاونيه دون الافراد سلفيات بضمان شخصى لمدة سنتين لشراء مواش

الكنيسة القبطية في الحبشة

وصف فراجو المؤلف المجري الكنيسة القبطية فى الحبشة بقوله :

تهتم الكنيسة القبطية فى الحبشة اهتماما عجيبا بالاحتفالات والاعياد التى تكاد لاتعد ولا تحصى والاحتفال الذي حضرته يجري مثله عند نهاية كل شهر فيبدأ عند الفجر ويستغرق اليوم بأكمله ، ويبذل الانبا كيرلس أقصى جهده ليحمل الامبراطور على الحضور فى الموعد المعين قبل السادسة صباحا دائما مهما كانت مشاغل جلالته وظروفه التى لاتسمح له بقضاء نصف النهار فى الكنيسة ولكن « الانبا كيرلس» يستبد استبدادا عجيبا بالامبراطور ، ولايسمح لجلالته مطلقا بمغادرة الكنيسة قبل الانتهاء من العبادة

وفى الوقع ان الكنيسة هي التي تتحكم فى شؤون الحبشة كلها وما الامبراطور الا سجينها أو أسيرا وجلالة الامبراطور لايستطيع الاتصال برعاياه بحكم صعوبة المواصلات ورداءتها فهو لايستطيع أن يعتمد الا على حرسه الخاص المؤلف من ثلاثين الفا يدفع رواتبهم من جيبه وهذه هي القوة الوحيدة التى يعتمد عليها جلالته أمام قوة الكهنة العظيمة فلا يقل عدد الكهنة فى الكنيسة القبطية في الحبشة عن مليون كاهن يتمتعون بسلطة منقطعة النظير

وسلطة الامبراطور فى الواقع قائمة على مايملك من أسلحة وذخيرة وما زال القرويون فى كثير من القرى يعتقدون بان الامبراطور منليك هو الذى يتولى الملك حتى الآن في العاصمة الحبشية ولكن الكنيسة المصرية الارثوذكسية هي فى الواقع صاحبة السلطة فى البلاد بفضل كنائسها المنتشرة في كل أنحاء الامبراطورية بحيث لا تخلو قرية من كنيسة قبطية على الاطلاق

ونستطيع أن نقول على وجه اليقين أن تاريخ الحبشة ماهو الاسجل للحوادث المهمة والظروف العصيبة التي مرت فيها الكنيسة القبطية

البيض المصرى

لم تبدأ مصر فى تصدير البيض إلا عام ١٨٩٦ حيث لم تتجاوز الكمية المصدرة حسب الاحصاءات الجركية ١٥ مليون بيضة ، ولكنها أخذت تتزايد عاما بعد عام حتى قاربت على ٢٥٠ مليون بيضة عام ١٩١٦ ثم أنها بلغت عام ١٩٣٢ أحد أعوام الازمة الاخيرة ٢٠٣ مليون بيضة ، الا أنها انخفضت الى ١٧٠ مليونا عام ١٩٣٣ والى ١١٥ مليونا عام ١٩٣٤

ولا شك أن حقنا أن نتساءل عن الاسباب التى أدت الى هذا النقص الكبير الذى حل بصادراتنا من البيض ، وهل يعزى هذا النقص الى أن البيض المصرى يقل جودة عن الاصناف الاخرى أو الي أن أسعاره فى مصر لاتتناسب والأسعار الخارجية أو لأسباب أخري خارجية عن إرادتنا . أما فيما يتعلق بالجودة فيمكننا أن نهمل الاعتراض عليها ، خصوصا بعد أن أنشأت لوزارة التجارة والصناعة مكاتب خاصة للرقابة فى الموانى المصرية الهامة تقوم برقابة مستمرة ودقيقة على عدد ونوع البيض ومتوسط وزنه ، وفى الواقع فقد ظهرت النتائج الحسنة لهذه الرقابة الشديدة لكن كان من أثر اختيار البيض المعد للتصدير ان احتفظت كميات الصادر بالمستوى الذى كان قد وصلت اليه فى سنى الحرب بالرغم من اشتداد الازمة فبلغت قيمة الصادرات ٥١٨٣ جنيها عام ١٩٣٢ وهو رقم لم تبلغه الصادرات من قبل ، أضف الى ذلك ما جاء فى تقرير أحد كبار مستوردى البيض ببريطانيا العظمى عن البيض المصرى اذ قال ليس هناك مايمنع البيض المصرى من أن ينال قيمته الحقيقية بالنسبة لوزنه اذا ماصنف وحزم بعناية تامة ، فمن مميزات البيض المصري قدرته على البقاء مدة طويلة من غير أن يفسد وكبر كمية الصفار بالنسبة لوزنه وصلابة قشرته التى تساعد كثيراً على حفظه من الكسر

وعلى هذا أصبحت الفكرة القائلة بأن نقص صادراتنا من البيض يرجع الي رداءة النوع غير قائمة على أساس صحيح . أما من حيث الأسعار فالاحصائيات كلها تدل دلالة واضحة على أن الاسعار المصرية تقل كثيراً عن أسعار البيض فى البلاد الاوربية ، ففى مصر تباع المائة بيضة بخمسة عشر قرشا ، فى حين أن ثمنها فى فرنسا يبلغ ٦٥ قرشا وفى المانيا ٦٣ قرشا أى مايزيد على أربعة أمثال السعر المصرى وفى انجلترا تباع المائة بيضة بمبلغ ٥٨ قرشا أى مايقرب من أربعة أمثال وحتى فى بولونيا وهى الاسواق الرخيصة فى أوربا فتباع بما قيمته ٢٨ قرشا أى مايقرب من ضعف السعر المصرى

يتبين من هذا أن هناك فرقا كبيرا بين الاسعار فى مصر وفى البلاد الاخرى ، إلا أنه يجب أن لايغيب عن بالنا أن وزن البيض المصرى حتى المنتقى منه والمعد للتصدير يقل عن وزن البيض فى البلاد

الاوربية بما يقرب من الثلث ، ولكن بالرغم من احتساب هذا الفارق فى الوزن فان الاسعار المصرية لاشك تقل كثيرا عن الاسعار المتداولة فى البلاد الخارجية ، خصوصا فى الاسواق الالمانية والفرنسية والانجليزية ومن ذلك يتضح أن الاسعار لم تكن عاملا فى النقص الذى حل بصادراتنا من البيض

لم يبق أمامنا الآن إلا أن نبحث عن العوامل الخارجية التى سببت هذا النقص ، ونحن لاشك واجدوها فى النظم الجمركية الجديدة التى اتبعتها البلاد المختلفة والقيود التى فرضتها على الواردات فقد أقفل الكثير من البلاد أسواقها فى وجه الواردات الاجنبية وعملت على تشجيع الانتاج الوطنى بكل الطرق المختلفة حتى ولو كان فى ذلك ارتفاع الاسعار الداخلية ، ولم يقتصر الامر على هذا بل تعداه الى قصر المبادلات التجارية داخل مناطق خاصة ، ومن أمثلة هذا الاتجاه الجديد ماعقد من اتفاقات لتوثيق العلاقات التجارية داخل الامبراطوريتين البريطانية والفرنسية وقد أدت هذه الاتفاقات الى معاملة بضائع بلاد الامبراطورية معاملة تفضيلية فأمكنها بذلك أن تزيد من معاملاتها مع بعضها البعض وارتفعت نسبة هذه المعاملات عن قبل وكان طبيعيا أن تقل المعاملات مع البلاد الخارجية

ولم تكن مصر البلد الوحيد الذي أثرت على صادراته نظم التقييد الجديدة فهاهى هولندا التى

صدرت مايزيد على ١٢٨٠ مليون بيضة عام ١٩٣٢ لم تتجاوز صادراتها ٩١٢مليون بيضة عام١٩٣٣ وكذلك نقصت صادرات البلجيك من ٥٩٨ مليونا الى ٣٢٠ مليونا

وقد كان من أثر هذه القيود أن انمحت صادراتنا الي فرنسا عام ١٩٣٣ ونقصت الكميات المرسلة الي المملكة المتحدة بعد أن تجاوزت ٣٢ مليونا عام ١٩٣٣ هبطت الى مادون المليون عام ١٩٣٤ وكذلك نقصت صادراتنا من البيض الي ايطاليا

ولكن لحسن الحظ انه فى الوقت الذى أخذت صادراتنا الى بعض البلاد فى النقص ، ابتدأت تزيد الى البعض الاخر كاسبانيا وجبل طارق وفلسطين وقد أصبحت أسبانيا فى فترة قصيرة من الزمن العميل الاول لصادراتنا من البيض وقد بلغ ما أخذته عام ١٩٣٣ ، ٧١ مليون بيضة الا أنها فى عام ١٩٣٤ قد قللت من استيرادها للبيض المصرى بسبب مافرضته من قيود وما عقدته من اتفاقات مع بلاد أخرى على مبادلة السلع ومن بينها البيض وقد اهتمت الحكومة المصرية بالامر وهي مازالت تعمل على ارجاع السوق الاسبانية والترويج للبيض المصري فيها .وكذلك زادت صادراتنا من البيض زيادة محسوسة الي جبل طارق وأصبح من عملاء مصر ذوى المراكز الممتازة ، وكذلك أصبحت فلسطين وملطة بعد أن كانت لا تستوردان من مصر الا النزر اليسير .

تقدم العلوم والفنون

المسيحية فى الحبشة

اختلف مؤرخو الكنيسة فى حقيقة دخول المسيحية الى بلاد الحبشة فروى بعضهم أن القديس مرقس الكاروز الافريقى بشرها بها وقال آخرون أن بشيرهم هو متى الرسول وأنه ترك انجيله عندهم وبقى هناك الى أن أحضره الى مصر بنتينوس أستاذ مدرسة اللاهوت بالاسكندرية . ولكن المتفق عليه هو أن الحبشة ظلت بعيدة عن المسيحية حتى القرن الرابع إذ بشرها بها فرومنتيوس . وهو شاب من أهالى مدينة صور . خرج مع أخيه أيدوس وعمه ميربيوس فى رحلة بالبحر الاحمر فهاجمهم جماعة من القرصان عند شواطىء بلاد الحبشة وقتلوا العم ميربيوس ورجال سفينته وأبقوا على الشابين فرمونتيوس وأيدوس وأوصلوهما الى دار الملك فلبثا فى خدمته زمنا . ثم استأذنا فى العودة الى بلادهم فأذن لهما . ومرا بمصر ومثلا بين يدى بطريرك الاقباط أثناسيوس الأول وقصا عليه قصتهما وقالا له ان فى الحبشة مجالا لنشر المسيحية وتعطشا لسماع كلمة الانجيل فاصغى البطريرك الى قولهما ورسم فرومنتيوس مطرانا على الحبشة وجهزه بكل ما يحتاج اليه للتبشير . ولما عقد مجمع نيقية فى القرن الخامس كان من قراراته « أنه لا يجوز لمسيحيى الحبشة الاستقلال بأمورهم بل هم تابعون للكرسى الاسكندرى ويعين بطريرك الاسكندرية أساقفتهم . ولا تزال الحبشة منذ بشرها فرومنتيوس حتى اليوم تابعة للكنيسة القبطية متمسكة بعقيدتها الارثوذكسية . وعبثا حاولت الكنائس والارساليات المسيحية من أرثوذكسية وكاثوليكية وانجيلية التفريق بين الاقباط والاحباش فلم تفلح إحداها فى مساعيها . وكان البطريرك كرلس الرابع آخر بطريرك قبطى سافر الى الحبشة . وقد رحل اليها مرتين . الأولى للتوفيق بين الاسقف القبطى وقسوس الحبشة والثانية لمهمة سياسية انتدبه لها سعيد باشا والى مصر سنة ١٨٥١

وآخر مطران قبطى لها كان الانبا متاوس الذى رسمه الانبا كيرلس الخامس سنة ١٨٨١ وحضر الى مصر مرتين أولاهما سنة ١٩٠٢ والثانية سنة ١٩٢٤ وسافر فى المرة الأولى الى الاستانة وبطرسبرج « لينينغراد » وقابل كلا من جلالة السلطان عبد الحميد والقيصر نقولا الثانى

وكان النجاشى منليك قد طلب من البطريركية القبطية منذ ٢٥ سنة أن ترسل الى الحبشة بعثة من الشبان للتعليم فى المدارس الحبشية فأجاب طلبه ولكن هذه البعثة لم توفق فى عملها . فعاد بعض أفرادها واشتغل البعض بمهام اخرى فى الحبشة غير التربية والتعليم

وقد امتاز عهد الانبا يؤنس البطريرك الحاضر ، بأمور عدة فى علاقات الكنيسة الحبشية بالكنيسة القبطية أهمها :

١ — تعيين الانبا كيرلس مطرانا للحبشة بعد أن بقى الكرسى شاغراً زمنا طويلا

٢ — حضور عدد كبير من رهبان الحبشة الى القاهرة ورسامتهم قسوسا ورؤساء للكنائس والأديرة فى بلادهم

٣ — حضور بعثة من أبناء الحبشة الى مصر وتعليم أفرادها على حساب الدار البطريركية

٤ — انتداب بعثة علمية من أساتذة المدارس الاميرية للتعليم فى الحبشة على حساب وزارة المعارف المصرية

٥ — انتداب اثنين من علماء الازهر للتعليم فى المدارس الاسلامية ونشر الدين الاسلامى فى الحبشة

٦ — تعيين قنصل مصري فى الحبشة

٧ — سفر الانبا يؤنس الى الحبشة

٨ — حضور فريق من رهبان مستعمرة الارتيريا الايطالية الى القاهرة بواسطة القنصلية الايطالية ورسامتهم قسوسا بمعرفة الانبا يؤنس

٩ — وقف مشكلة دير السلطان المختلف عليه بين الاقباط والحبش فى القدس الشريف

توفيق حبيب

الرياضيات فى المدارس

ألقى الدكتور دافيد سميث أستاذ الشرف لعلوم الرياضيات فى كلية المعلمين بجامعة كولومبيا بنيويورك خطبة على فريق كبير من مدرسى الرياضة نقتطف منها ما يلى : —

« إن قدراً كبيراً من الحساب الذى يدرس اليوم فى المدارس سيحذف من مناهج الدراسة فى مدى لا يزيد على نصف قرن . مثال ذلك الكسور الاعتيادية فانها قد أصبحت « غير اعتيادية » إذ لو استثنينا منها الأنصاف والأثلاث والأرباع والأثمان فان الرجل العادي قلما يستعمل هذه الصور الأثرية فى عملياته الحسابية . ومن السهل معرفة الجزء النافع منها لعامة المتعلمين وابقاؤه فى مناهج الدراسة ، أما الباقى فيجب أن يضرب به عرض الأفق . أما فى الجبر فما يجب حذفه منه يشمل معظم العمليات الخاصة بكثيرات الحدود كما تدرس فى الوقت الحاضر ، ومعظم التحليل ، ومعظم الكسور . أما فى الهندسة فليس ثمة حاجة أن يدرس الطالب المتوسط أكثر من ثلاثين

نظرية خاصة بالاشكال المستوية مع العناية بالتمرينات والاهتمام بالغرض الأول من الهندسة وهو أنها مقدمة بديعة لعلم المنطق . وفى حساب المثلثات يجب أن تبسط المبادىء الأولية التى تدرس فى هذه المادة وتحول من صورتها الجبرية الى صورة مؤسسة على القياس الغير المباشر

«هذا من ناحية الهدم أما من ناحية البناء فسيحل مكان كل جزء محذوف جزء آخر يكون أفيد منه عمليا ورياضيا . فمثلا مقدمة بسيطة فى حساب التفاضل والتكامل أسهل من أعمال التحليل الشاقة التى لا تزال توجد فى كثير من المدارس . كما أن فى الحساب استعمال الجداول الرياضية والآلات الحسابية لأمتع للطالب وأفيد له من كثير من الحساب والجبر المستعمل فى وقتنا الحاضر . كذلك يجب أن يدرس الطلبة المتفوقون الرياضيات التحليلية عوضا عن الاجزاء غير النافعة من المعادلات. ودراسة المتسلسلات يمكن أن تحل محل دراسة القوى والجذور . وربما يقول معترض أننى أقدم منهاجا سطحيا فى الرياضيات ولكن لايخفى أن الاختلافات الفردية للطلبة تستدعى أن يكون تعليم الرياضة سطحيا فى معظم الاحوال واذا كان هناك طلبة يظهرون استعداداً رياضيا ويرغبون فى دراسة الرياضيات حباً بها لذاتها ، وجب انشاء فصل خاص لهم وفصلهم عن باقى التلاميذ »

تفوق بقرة سويسرية

ورد فى إحدى الصحف الألمانية صورة لبقرة من سويسرا اسمها « اغاتا » فاقت ما سبقنها من البقرات التى اشتهرت بغزارة حليبها فى العالم . لأنها درت من الحليب فى سنة ١٩٣٤ — وكان عمرها وقتئذ إحدى عشرة سنة فقط — ١٨٨ر١٧ كيلو ، وكانت نسبة الزبد بالكيلو ٣ر٤٦ أو ٥٩٥ر٢٧ كيلو من الزبد فى حليب السنة كلها

ولدت اغاتا فى ٥ مارس من سنة ١٩٢٣ فى مدينة سولهوز بالقرب من طير كهيم بسويسرا ونتجت فى شهر يناير الماضى وبقيت مدة لاتخرج الى المرعى وكان طعامها فى أثناء ذلك القصل والشمندر مع ١١ كيلو من العلف المجبول من الكسب وغيره . وكانت تدر كل يوم ٦٦ر١ كيلو حليباً

وفى يوم ٢٠ من شهر أبريل أخرجوها للرعى وكانوا يقدمون لها زيادة على ما ترعاه ١٠ كيلو جرامات فقط من العلف المجبول وفى يوم ٢٣ اكتوبر عادت الى حظيرتها حيث كانوا يطعمونها القصل والعشب اليابس والشمندر مع ١٠ كيلو جرامات من العلف المجبول

واغاتا لاتزال قوية البنية صحيحة الجسم مع أنها انتجت حتى اليوم ٨ عجول كل منها سمين صحيح الجسم . وكان الرقم القياسى فى العالم لغزارة الحليب للبقرة (بروسبكت) بامريكا التى بلغ مادرته من الحليب فى ٣٦٥ يوماً ٩٥٦ر١٦ كيلو فيها من الزبدة ١٠ر٣ بالكيلو وهى جنس (هولشتين فريزى) أما اغاتا السويسرية فكان معدل ما درت من الحليب فى السنة الماضية ٤٧ كيلو غراما يومياً ، وبذلك أحرزت قصب السبق فى غزارة حليبها وأصابت رقماً قياسياً جديداً

طبيعة تدهور الارض في مصر

أصدر قسم الكيمياء النشرة الفنية رقم ١٤٨ ، عن « طبيعة تدهور الأرض فى مصر » تأليف المستر جريسى ، ومحفوظ رزق افندى ، وأحمد مختار افندى ، وعبد الحميد ابراهيم مصطفى افندي وللنشرة تقدمة بقلم جناب الدكتور لورنس بولز ، كبير الفنيين فى القطن ، وتمهيد بقلم جناب الدكتور وليمسون ، كبير الاخصائيين فى الكيمياء

وطبيعة موضوع هذه النشرة من الاهمية بمكان عظيم ، لأنه يبحث فى أسباب التلف الذى أصاب مساحات غير قليلة من الأرض المصرية ، وأدى إلى تدهور غير قليل فى الحاصلات . وهذا التلف يتميز بعدم نفاذ الماء فى الأرض ، وليس من الضرورى أن يدل عليه تراكم الملح فى التربة وذلك لوجود طبقات صماء تحول دون تقدم جذور الحاصلات فى المنطقة التى تصل إلى ثلاثه أمتار من سطح الأرض . فاذا كانت على بعد ٢٠ سنتيمترا من السطح منعت زراعة البرسيم ، وإذا كانت على بعد ٣٠ سنتيمترا أتلفت زراعة الأرز . أما إذا كانت على أعماق تزيد على ماتقدم فانها تؤثر فى النباتات المتعمقة الجذور ، فى أدوار متقدمة من نموها

ولقد عرضت النشرة الآنفة الذكر إلى طبيعة تدهور التربة فى مصر . وعن حركة الماء فيها ، وخصائص أرض الحياض . وجاءت أيضا بوصف أمثلة من التربات الغير الخصبة وتناولت العلاقة بين أنواع الجدب فى مصر ، وقسمت التربات التالفة

ومما تناولته النشرة الخطوات التى تؤدى إلى التربة التالفة ، وأثر تلف التربة فى مقدار المحصول فقد جاء فيها مانصه « ان أقصى محصول القطن فى أى قطعة إنما ترتبط باديء ذي بدء بعوامل غير الأسمدة المستعملة ، وأن هذه ليس لها إلا تأثير ثانوي فقط ، على أن هذا لايعنى أن الاسمدة عديمة التأثير فى مقدار محصول القطن ، ولكن يعنى أن تلك العوامل الأخرى تعين الحد الأقصى للانتاج الممكن الحصول عليه فى حالة ما »

وجاء أيضا فيما يختص برشح المساقى العالية « وحتى مع وجود المصارف الحقلية الكثيفة ، يحتمل أن يكون الرشح من المساقى العالية المنسوب فى حاجة لأن يوقف بتبطين الترع »

وربما كان من الخير تنبيها للاذهان أن نختم هذه النبذة بكلمة الدكتور وليمسون التى جاءت فى مقاله ، واليك نصها « لقد صرفت مبالغ جسيمة وأقيمت أعمال مجيدة فى توفير المصارف الرئيسة والثانوية ، ولكن مازال الامر يقتضى زيادة كبرى فى هذا السبيل وأن المبالغ الطائلة مهما بلغت التضاءل ازاء واجب انتشال التربة المصرية من التلف

والنشرة مليئة بالاحصاءات ، والرسومات البيانية ، التى تبسط للقارىء ما أجمل فى نواح أخرى

والتى تدل على المجهود الطيب الذى بذله حضرات مؤلفيها فى ابراز هذه الحقائق النافعة للرأى العام والنشرة تقع فى ٢٢ صفحة ، وتباع فى صالة البيع بوزارة المالية وثمن النسخة ٤٠ مليما

صادق روفائيل

هضم الحشرات للخشب

من وقت أن قام لونيه سنة ١٧٦٢ بتجاربه العامة لاكتشاف الطريقة التى تهضم بها الحشرات الخشب قام آخرون بمتابعة البحث فى هذا الموضوع المشوق . وقد جمعت تواريخ هذه الابحاث مع أحدث الآراء فى مقال كتبه ك . منصور وج . ج منصور بك . والغرض الاساسى من المقال أنه ليست هناك قيمة كبيرة كما كان يظن كثير من المؤلفين خصوصا بخنر وتلاميذه من أن بعض الاحياء الدنيا التى تعيش فى جوف الحشرات الثاقبة للخشب تستطيع هضمه ولكن الحقيقة أن بعض الحشرات الثاقبة الخالية تماما من الاحياء الدنيا تستطيع أن تتغذى بالخشب بدليل أنه يوجد فى افرازاتها مواد سليلوزية كما أنه بتربية بعض من هذه الاحياء الدنيا فى أنابيب زجاجية وجد أنها غير قادرة على هضم السليوز

وفى أمعاء الأرضات يوجد نوع من البروتوزوا الهدبية تستطيع القيام بهذه العملية وهى عملية هضم الخشب وعلى ذلك فان هذه الحشرات يجب اعتبارها كأنها تعيش على أحياء دنيا وليست على الخشب مباشرة

وكثير من آكلات الخشب لاتقتصر على السليلوز وليس فيها سليلوز ولكنها تستنفد النشا والمواد السكرية الذائبة فى الخشب فقط وتأخذ الأزوت اللازم لها كما هو الارجح من البروتينات التى توجد دائما فيه كما وجد كثير من الانزيمات البروتينية فى أغلب الحشرات التى تتغذى بالخشب وهذا مما يتعارض مع الرأى القائل بان الاحياء الدنيا تثبت الأزوت الجوى لعائلها

المرأة والمنزل

من المزرعة الى الجامعة

من الشخصيات الفذة التي تعتز بها الحركة النسوية في العالم شخصية تلك السيدة الفرنسية النابغة مدام مارت مودى .

نشأت مارت مودى فى قرية نائية من قرى فرنسا وأنفقت شبابها الأول فى حرث الأرض وزراعتها واعتقد أهلها أنها لن تصلح فى يوم من الأيام إلا لأعمال الفلاحة ورعى الماشية وتعهد الحقول .

وكانت مارت مودى قد تلقت علومها الابتدائية على يد كاهن القرية واعتادت المطالعة فى أوقات الفراغ وفى هدأة الليل .

وحدث عندما بلغت السابعة عشر من عمرها أن تبرمت فجأة بحياة الريف وانبثقت مواهبها بغتة وتاقت نفسها الى قراءة الدراسات والبحوث العلمية وشعرت بميل غريب الى دراسة طبائع الحيوان والنبات فما كان منها إلا ان ظلت تدخر المال وترسل الى باريس فى طلب الكتب .

ومضت تطالع بدون نظام معتمدة على ملكتها ومواهبها وذكائها المتوقد وحافظتها القوية

واتفق أن كان يزور أسرتها فى الريف أستاذ من أقربائها يعمل فى إحدى الجامعات

وما كاد الأستاذ يتصل بالفتاة ويجلس اليها ويحادثها حتى بهره ذكاؤها ووفرة معلوماتها فنصح لأبيها ألا يضحى بابنته فى الريف وأن يبعث بها الى باريس لاستكمال علومها

وهكذا غادرت مارت القرية ودخلت إحدى الجامعات وظلت تكافح وتجاهد حتى فازت بشهادة الدكتوراه فى العلوم

والذى يثير الحماسة والاعجاب فى شخصية مارت مودى أنها لم تطلب العلم لمصلحة شخصية أو لغرض مادى بل طلبت العلم من أجل العلم وفى سبيل البحث المستقل النزيه

وأبلغ دليل على ذلك أنها رفضت وظيفة هامة عرضت عليها واقترنت بأحد كبار المدرسين ثم انقطعت فى بيتها لخدمة العلم والعناية بزوجها وابنها الصغير

وقد أصدرت مدام مارت مودى حتى اليوم ثلاثة كتب علمية ضخمة إحدها يبحث فى البيولوجيا والآخر فى أثر العلم فى الحضارة الصناعية الراهنة والثالث فى مستقبل العلم وتطور المجتمع

وما تزال مدام مارت مودي تواصل نشر مقالاتها العلمية فى اكبر المجلات والصحف سواء فى فرنسا أم فى خارجها

النساء الفوارس

فى فرنسا وألمانيا بعض أناث اشتهرن بركوب الخيل وقطع المسافات الطويلة وهن صبورات على التعب وقد وردت أخبارهن مرارا فى الصحف والمجلات وبعضهن من سافرت من باريس الى بوخارست عاصمة رومانيا على صهوة الجواد

ولكن احدي المجلات الفرنسية نقلت عن صحف روسيا أخبارا غريبة عن نساء فوارس اتين بالعجيب الباهر من أعمال الفروسية

ومن ذلك أن سيدة قوقازية تدعى ريشمه كانت تحب الخيل من حداثة سنها ثم تزوجت برئيس كوكبة من كواكب الفرسان فزاد فى حبها للخيل وعلمها القفز بها من على الحواجز والعوائق فرأت أن تعلم من استطاعت من نساء الضباط الفرسان فى مدرسة حراس الحدود فقدم لها قائد المدرسة الخيل اللازمة والمعلمين فتخرج ١٨ من السيدات مهرن فى ركوب الخيل ومارسن الرياضات البدنية

وأراد قائد المدرسة امتحانهن فنظم لهن مباراة على الجياد من لينينغراد إلى موسكو والمسافة (٩٠٠) كيلومتر وتقطع على مراحل فى مناطق عينها مشهورة بوعورتها ومتاعبها

وركب السيدات الخيل وكن يقطعن من ٦٠ الى ٧٠ كيلومترا فى اليوم وقد وصلن جميعا سالمات وصحتهن جيدة والجياد لم تصب بشىء من الأذى برغم ما فى الطريق من وعورة ووحول ومزالق مما دل أيضا على أن النساء الفوارس أدركن كل الأدراك سياسة الجياد وعدم تعريضها للمخاطر

تعقيم اللبن

رسالة نفيسة قام بوضعها الدكتور محمود سليم ، أستاذ علم البكتريولوجيا بمدرسة الزراعة العليا ، عقب عودته من بعثة صيفية الى انجلترا عام ١٩٣٤ ، لدرس موضوع تعقيم اللبن من الناحيتين العلمية والعملية . تقع هذه الرسالة فى أربع وسبعين صفحة ، ومزينة بصور عديدة لأجهزة تعقيم اللبن المختلفة ، ومليئة برسومات لشرح مواضع تلك الأجهزة ، تمكن القارىء من فهم هذا البحث القيم . وقد مهد لها المؤلف بتمهيد مفيد ، أبان فيه أهمية اللبن كغذاء خاص للأطفال ، نظرا الى أنه غذاء كامل يحتوى على كل العناصر اللازمة لبناء الجسم ونشاطه ، غير أنه من المواد السريعة التلف . لذلك قد اتجهت عناية أغلب الممالك الاوربية والاميركية الى تنظيم انتاج الالبان ومعاملها وتوزيعها على أحدث الطرق ، ووضعت لذلك القوانين المشددة والعقوبات الصارمة لمن يخالف هذا النظام . ويشير المؤلف إلى الفرق الشاسع بين الحالة فى معظم تلك البلدان وبينها فى مصر حيث رق إنتاج الألبان ، والعناية بعدم غشها ، مع أن مصر أحوج من تلك البلدان الى العناية التى

تكفل نظافة اللبن وخلوه من الميكروبات الضارة ، أما الالتجاء الى غلى اللبن حتى تقتل الميكروبات فقد جاء فيه ما نصه : «على أن غلى اللبن يغير كثيرا من صفاته ، كما يضر بقيمته الغذائية ففى حين أن طعمه ورائحته يتغيران فان قابليته للهضم تقل بالنسبة الى تجمد المواد الزلالية وتحول جزء من أملاح فوسفات الكالسيوم الذائبة إلى حالة غير ذائبة ، وتحلل جزء من سكر اللاكتوز وتجمع جبيبات الدهن ، كما أنه يضر بأحد الفيتامينات الهامة » لذلك يرى المؤلف أن أفضل الوسائل للانتفاع باللبن هى استعماله دون غليه بشرط اتباع قواعد صحية مثل تنظيف المواشى الحلوب واختبارها بالتيوبركلين . . . الخ

وتضمنت هذه الرسالة شرح معنى التعقيم الجزئى للبن (طريقة باستير) ومزايا هذه العملية صحيا واقتصاديا ، والطرق المتعددة التى تستعمل فى هذا الغرض وبيان أفضلها . فقد ذكر المؤلف طريقتين رئيسيتين للتعقيم الجزئى « الطريقة السريعة » و « الطريقة البطيئة » وقابل بينهما وتبين له أفضلية الطريقة البطيئة لما لها من المزايا العديدة التى أشار اليها

وقد اشتملت هذه الرساله ، عدا ما سبق ، على بيانات وافية لأحدث الاجهزة لتعقيم اللبن فى المعامل المختلفة التى زارها المؤلف ، والنفقات اللازمة لانشاء معمل تعقيم ، وعدد العمال اللازمين لذلك ، والشروط التى تشترطها وزارة الصحة الانجليزية فى اللبن المعقم ، وما الى ذلك من المعلومات القيمة التى وقف عليها المؤلف بنفسه . وأخيرا يجدر بنا أن نذكر ما لهذه الرسالة من أهمية خاصة فى وقت حان فيه التفكير جديا فى اتخاذ وسائل حازمة لترقية إنتاج الالبان وتداولها وصناعة منتجاتها

فوزى

ضرر الاكثار من التغذية

تكثر الوفيات فى مصر كل عام دون أن يهتدى الى تعليل ذلك بالافراط فى الطعام أو أن نوع عناصره كان واحداً من تلك الأسباب . فنسعى الى إصلاح علتنا ونشكل اللجان من أجلها كما نفعل من أجل أصغر الأمور

إن كثرة الغذاء قاتلة ولكنها قبل أن تقتل تدفع بالمرء إلى شيخوخة مبكرة وهى لا تصل به إلى الشيخوخة حتى تكون قد حطمته تحطيما

ومع ذلك فنحن محتاجون دائماً الى التفكير فى تكوين مجموعها . وإلى إنفاق سخى وفيهما مضيعة الوقت وعوز مستمر إلى المال

وينجلى تأثير الافراط فى التغذية لو أننا شاهدنا حفلة رياضية من تلك التى تتطلب الحركة السريعة كالملاكمة أو الكرة وكان من بين أبطالها من أفرط فى غذائه فان حركته تثقل ولا بد له من الهزيمة وهكذا الحال فى جياد السباق والرقص فان لها نظاما خاصاً وكمية معينة من الغذاء وما كان السمن أبداً من صفاتها

هذه الملاحظات الثلاث تعنى دون ما احتياج الى أعمال الفكر إن الاعتدال فى الغذاء أفضل للجسم والعقل وأجدى على الحياة . وما كان تكوين الانسان جلداً ولحماً فقط حتى نعمل على نموه وتضخمه ولكنه فوق ذلك ذكاء وإحساس يجب احتسابهما فى تكويننا

ولا سبيل الى إنماء الذكاء وتدقيق الحس إلا بالاحتفاظ بحالة الجسم الطبيعية — أي بوزنه — وعندئذ لا نضمن الذكاء والحس فقط بل نجنى أيضاً سلامة الجسم وقوته . ولكن يظهر أن النهم والافراط فى الاكل ميراث ورثناه عن آبائنا الأولين !

وإلا فما معنى أننا نحس ضرره ونلحظ جميعاً مازفقته اليكن فى بدء الحديث ثم لا نقلع عن هذه العادة . ولا نقصد فى غذائنا إلا اذا دعينا إلى وليمة حياد فقط لا قناعة ! فنكون بذلك أدعى الى السخرية منا إلى مظاهر التأدب والقناعة

ولقد حصلت على بيانات من شركات التأمين على الحياة تؤكد أن السمن — وسببه الافراط فى الأكل غالباً — يضعف مقاومة الجسم للامراض العضوية . وها هو ملخص نسبي من تلك البيانات :

المرض	بادنون		نحفاء
الشلل	٣٩٧	مقابل	١١٢
أمراض القلب . .	٣٩٤	«	١٢٨
« الكبد . .	٦٧	«	١٢
« الكلى . .	٢٧٤	«	٩٧
« المجاري البولية	١٣٦	«	٦

* * *

ثم تشرح إحدى الشركات بيانها فتقول :

« السمن يرهق جميع الأعضاء . فينتفخ الكبد وتسد الكلى . وتضطر مضخات القلب الى القيام بعمل فوق طاقتها وقد يفنيها »

ولدينا مثل آخر يبرهن على الوفيات تتبع كمية الغذاء ونوعه ولكنى قبل أن أنتهى الى هذا المثل ، أقدم دليلا آخر هو قول نبينا عليه الصلاة والسلام « المعدة بيت الداء »

فأما المثل فهو أن الوفيات فى الدانيمارك كانت بنسبة ١٣٦٣ فى الألف قبل سنة ١٩١٤ ، حيثما كان فى ميسور الناس أكل مايشتهون . ولكن هذه النسبة انخفضت الى ١٠٦٤ فى سنة ١٩١٨ بعد أن عزت عليهم الأشياء وأصبحت التغذية بقدر معلوم

أما فى فرنسا — ونسبة الافراط فيها لا تكاد تذكر بجانب مصر — فان الوفيات بلغت ١٧٦٦ مع الفارق بيننا وبينهم فى كل شيء يتصل بموضوعنا

أقول انهم لايبالغون فى تغذية أجسامهم وإن كانوا يتخيرونها ويعنون بها كل عناية ومع ذلك فان ذوي الرأى منهم قد قالوا ان كثرة الوفيات سببها جشع الشعب وإفراطه فى الطعام . وقالوا « إنما نحفر قبورنا بأسناننا » فما بالهم لو عاشرونا وعرفوا كيف نأكل وماذا فى دنيانا من طعام .!

ماذا يقولون عنا لو عرفوا أننا ننفق ٦٠ فى المائة أو ما فوقها من أرباحنا فى الغذاء وأن هذه النسبة ترتفع الى ١٠٠ فى المائة فى بيوت العمال ومن اليهم — (وإلا حد الله ما بين الزوجة وما بين العيشة الفقر دى) ...

ماذا يكون قولهم هنا وهم يستكثرون أن تنفق ربة الدار ٢٠ فى المايه أو ٣٠ فى المايه فى ثمن الغذاء ؟ ! . وهم يعيبون على أمريكا أنها تنفق ٢٥ فى المايه من أرباحها على غذائها رغم أنه كان من قبل ٣٥ فى المايه ، وأن الأرباح هناك غيرها فى مصر ***

وصايا الزواج في المانيا

وضعت لجنة الشؤون الصحية للريخ الالمانى الوصايا الآتية لتكون نبراسا يهتدى به كل المانى يتطلع الى الزواج باعتباره من الامور الحيوية اللازمة لحفظ كيان الامم وتدعيم قواها والى القارىء بيان تلك الوصايا

ـ تذكر أنك المانى

ـ يجب عليك اذا كنت سليم الجسم قوى البنية أن تسرع وتتزوج

ـ احفظ جسدك طاهرا

ـ احفظ نفسك وعقلك فى حالة الطهارة والنقاوة دائما ويجب عليك بصفة كونك المانيا أن تختار شريكة حياتك من الجنس الالمانى أو على الاقل من اللواتي يجري فى عروقهن دم أهل الشمال

ـ ترفع عن أن تقبل ماليس من تراث أوربى فليس هناك سعادة ورفاهية إلا بين شخصين متساويين

ـ واذا رغبت فى اختيار رفيقة لحياتك ففتش عن أصلها لانه يحسن بك أنك لاتتزوج ان تذكر فرداً وانما بالحقيقة تناسب الشعب كله

ـ يجب عليك أن تذكر اذن أن الصفات الخلقية والعقلية هي وراثية

ـ الصحة ضرورية ولازمة لانها احدى علامات الجمال واطلب بالحاح أن تقبل تلك التى تختارها لتكون عروسا لك أن يكشف عنها طبياً قبل الزواج وكذلك أنت

ـ تزوج من أجل الحب فقط وليس للمال لان هذا الاخير يزول ولا يمكن أن يضمن لك السعادة الزوجية

ـ لاتبحث عن رفيقة لتلهو معها زمنا وانما عن شريكة تلازمك طول حياتك

ويجب عليك فى النهاية أن تبحث عن الطرق التى توصلك الى انجاب اكبر عدد ممكن من الاولاد

كتب الشهر الجديدة

القاهرة ــ الجزء الثانى

تأليف عبد الرحمن زكي صفحاته ٢٠٢ من القطع الكبير طبع بمطبعة حجازي بالقاهرة

قبل أشهر أصدر المؤلف الجزء الاول من هذا الكتاب المفيد وقد شرح فيه تاريخ القاهرة إلى قبيل دخول الاتراك مصر . وهو فى هذا الجزء يشرح باقى تاريخ العاصمة منذ شنق الغورى إلى أيام على مبارك باشا . وإليك مواد الفهرست : قاهرة السلطان الغورى ، قاهرة الباشوات والبكوات ، فنون وآثار القاهرة العثمانية ، قاهرة نابليون بونابرت قاهرة الجبرونى ، قاهرة محمد على باشا ، قاهرة الخديو اسماعيل . قاهرة على مبارك باشا

والمؤلف يستطرد فى ذكر الحوادث التى تتصل ولو اتصالا بعيداً بالقاهرة . وإليك مايقول عن « ميدان الازبكية »

« كان ميدان الازبكية الى وصول الحملة الفرنسية مصر أرضاً واسعة تغمرها مياه الفيضان كل عام وتتحول الى أرض زراعية على مثال بركة الفيل وبركة عابدين والفرايين وبركة باب اللوق والناصرية والرطلي والبشنين . فكانت تبدو فى فيضان النيل كبحيرات جميلة يتنزه فيها الشعب وتغدو عليها القوارب وتروح متنقلة بين شواطئها الزاخرة بالقصور والمناظر والمقاهى والمراقص فاذا ماانقطعت عنها المياه وبذر فيها الحب وأثمر الزرع بدت المناظر كأنها جنة فيحاء أو روضة غناء وإذا انتهى القوم إلى حصد محصولهم عادت قفراء مجدبة تنتظر عودة الحياة والخير

« كان ذلك حتى عام ١٨٣٠ لما بدأت أسباب المسرة فى الازبكية تختفى لتحل مكانها فى ذلك بركة الفيل فانتقل اليها أصحاب السفن وأرباب الملاهى سعياً وراء أرزاقهم . وبدأ السكان يغفلون شروط الصحة فرموا فضلاتهم وألقوا مخلفاتهم فتصاعدت الروائح العفنة وتعكر صفاء الجو

« أراد محمد على الكبير فى عام ١٨٣٧ بعد أن عادت جيوشه من حملاته الحربية العظيمة النهوض بالقاهرة فرأى بعد انتهاء شارع شبرا الذى أصبح متنزهاً جميلا أن يحول ميدان الازبكية الى بستان كبير ينسقه على أسلوب الحدائق الاوربية

«أمر برهان بك رئيس ادارة الاشغال العمومية وأحد تلامذة البعثه المصريه الاولى إلى باريس أن يضع مشروعاً لتحويل هذه البركة إلى بستان عام ولما انتهى هذا من عمل تصميمه قدّمه الى الباشا فوافق عليه وبدأ العمل على تنفيذه وكانت أراضى ميدان الازبكيه وقفاً لاسرة الشيخ البكري وهى أربعون فداناً فأضيفت الى المنافع العامة وأعطيت لهم عشرة أمثالها من الاراضى الزراعية الخصبة بالقرب من بهتيم

« خطّ برهان بك ثلاثة شوارع كبيرة فى الميدان لمرور الناس والمركبات وغرس على جوانب تلك الشوارع الاشجار الظليله وردم جزءاً كبيراً من البركة وأحاط الميدان بقناة مرتفعه القاع لتسمح برى جميع البستان عرضها عشرة أمتار . وزرع الاراضى التى تحيط بهذه القناة من الخارج بعد أن رفع مستواها لكى يعلو به عن مستوى الميدان المتوسط وحفر جدولا عرضه خمس عشرة متراً فى وسط الميدان لتخزن فيه مياه القناة الخارجيه حتى توزع على البساتين وغرس على جانبى الجدول الاشجار الباسقة . واستعان فى أيام الجفاف بآلة لرفع المياه من القناة الخارجية الى الجدول الداخلي فكانت المياه تجرى فى كل فصول السنه . وأقام قنطرتين جميلتين على الشارع الرئيسى المؤدى الي بولاق وممرات ضيقة ومعابر كثيرة لتسهيل المرور بين نواحى الميدان

« ولم تمض أربعة أعوام حتى كمل إنشاء الميدان على ذلك النسق الجميل . وبدت البساتين النضرة والطرقات المنمقه وأقام القوم المقاهى النظيفه . وقصده سكان الاحياء المجاورة للجلوس والتريض ولـكن مما يؤسف له ان الامر قد صدر بردم القناة عقب احتجاج رفعه بعض الاعيان وقناصل الدول . قالوا فى شكواهم إنه فى أيام التحاريق يلقى الناس فيها قاذورات الخيل وأوساخ البيوت فتسبب الحميات وتنتشر الاوبئه . فطلب قنصل انجلترا المستر « مورى » وبعض أصحاب البيوت أن تترك لهم مجرى مياه صغيرة مغطاة لرى حدائقهم حتى لاتتلف بانقطاع المياه عنها فاجابتهم الحكومة الى رجائهم وإن كان الميدان قد فقد خرير المياه الهادئة وأقفرت البساتين وبدأ يغشى الميدان أصحاب المهن الوضيعه والباعة المتجولون . فانحطت مكانته وأهمل شأنه مدة طويلة »

والـكتاب جدير بأن يضم الي سلفه ويجلد الاثنان فى مجلد واحد للمراجعه

المسألة الحبشية

تأليف الاستاذ عبد الله حسين صفحاته ١٨٦ من القطع الـكبير موضح بالصور طبع بمطبعة الرحمانية بمصر

يشمل هذا الـكتاب تاريخ الحبشة وشرح عادات الاحباش وأخلاقهم وادارة الحكومة

والقبائل وتاريخ المسألة الحبشية حتى أكتوبر سنة ١٩٣٥ مع بحوث مختلفة عن حرب الغازات وعصبة الامم واقتسام أفريقيا وعلاقة مصر بالمسألة الحبشية . ولا يقرأ الانسان صفحة منه إلا ويخرج بفائدة بل بفوائد منه . واليك مايقوله عن عادات الحبشة ونسائها

يجرى ختان الطفل الذكر فى يومه السابع أيام الاربعاء والجمعة . والانثى يجرى ختانها بعد ذلك . وإذا كانت الام مريضة ينبغى أن يبقى الطفل دون ختان حتى شفائها

وينصر الطفل الذكر فى اليوم الاربعين وتنصر الطفلة فى اليوم الثمانين

ولا تدفن المرأة فى أماكن الرجال . ولا يجوز للرجل أن يشرب البيرة قبل زوجته إذا كانت حاملا لانها تتألم باشتياقها للشراب

وعند ما يغيب أحد الآباء عن بلده يختار صديقا له لحراسة بيته والاشراف على أولاده

ويوسط الخطيب أصدقاءه لدى والد الفتاة ليقبل الزواج . ومعظم الآباء يقاسمون بناتهم نصف مهورهم وتقام أعراس بها مزامير وتنحر الذبائح

المرأة الحبشية

المرأة الحبشية مشهورة بالجمال وخاصة جمال العينين وبالجاذبية ولها أنف دقيق وشفتان غليظتان مستديرتان وقامة هيفاء

وطالما كانت بيوت أمراء المصريين والحجازيين والاتراك والاعيان مزدانة بالجواري الحبشيات وطالما تزوجوا منهن

والمرأة الحبشية مثال الشجاعة والاقدام والتضحية وهى تشترك فى الحرب مع الرجال ، وهى وافرة الذكاء بسيطة الهندام والاثاث

وفى أديس أبابا جمعية اسمها جمعية نساء أتيوبيا الوطنية وقد قامت بمظاهرة وحملت لوحة جاء فيها باللغة الامهرية . « أيها الشبان — انهضوا ولا تخافوا . ودافعوا عن وطنكم . دافعوا اننا سنموت معكم »

لاتتزوج المرأة الحبشية إلا باذن أبيها وإلا كانت ملعونة ، وهي تشجع بجاذبيتها الشبان على خطوبتها وأحيانا تهرب مع عشيقها

والمرأة الحبشية تشرب البيرة وقد يتخذ الرجل الحبشى عشيقة له لمدة سنة - وهى زوجية مؤقتة وعلى المرأة الحبشية أن تطيع زوجها

وينتشر البغاء فى الحبشـة بالرغم من موانع الدين المسيحى والطلاق كثير ، وأكثر بغايا السودان من الحبشيات المهاجرات . وتـكثر بينهن الامراض التناسلية بصورة مخيفة محزنة

أشياء لابد لى من معرفتها

ظهر مؤخرا كتيب صغير عنوانه « مباحث قصيرة فى مواضيع خطيرة » . وغرض ناشريه أن يعالجوا المشكلات العقلية التى تفكر بها العقول الناشئه فى هذا العصر . فالمقال الاول يدور حول موضوع « تأثير المثل على أعمال البشر » ويستعرض المثل العليا التى يتمثلها البشر مثل القومية ، والبلشفية ، واللادينية ، وملـكوت الله

وأما الفصل الثاني فيعالج مشكلة « الشر والالم فى الحياة » . والفصل الاخير يدور حول الموضوع الذى ثار حوله كثير من البحث « الحياة لاخرى »

« ان عقلى لايستقر على حاو فى القلق »

ولعل هذا الوقت هو انسب الاوقات لظهور هذا الـكتاب . ولقد جاهر مؤخرا أستاذ فى الفلسفة يقطن شمالي سوريا ، بان الشرق الادنى فى مسيس الحاجة الي مزيد من المصنفات عن فلسفه الدين بلغة الناطقين بالضاد

وجاء فى رسالة حديثة بعث بها هندى مثقف العبارات الآتية وهي تنبىء عن مدى المصارعات العقلية التى يعانيها كثيرون فى الشرق الادنى فى هذا العصر :ـ

« ان عقلى لايستقر على حال من القلق . فانا ظاميء الى المعرفة . وههنا أشياء لابد لى من معرفتها وإلا تورطت فى شقاء لامهرب لى منه

١ ـ وجود الله

٢ ـ طبيعته وصفاته

٣ ـ ماهية الصلاة الحقه وطريق الاتصال بالله

ولقد بذلت أقصى الجهود من نواح عدة للاستنارة فيها . . .

وربما فى مصر من هم على شاكلة هذا الهندى بنفوسهم ظمأ الى المعرفة . وهذا الـكتاب الصغير يطفىء شيئا من حدة هذا الظمأ . ويطلب من ادارة جمعية نشر المعارف المسيحية بشارع الترعة البولاقية رقم ٢٢ بولاق مصر . وثمنه ثلاثة غروش صاغ .

حديث الأدب والأدباء

احمد شوقى

للاستاذ احمد حسن الزيات في الرسالة

اجتمع رأى الناس — ما عدا الشعراء — على أن شوقى طيب الله ذكره ، كان تعويضاً عادلا عن عشرة قرون خلت من تاريخ العرب لم يظهر فيها شاعر موهوب يصل ما انقطع من وحى الشعر ، ويجدد ما اندرس من نهج الآدب ، ويحفظ للبيان العربى قسطه المأثور من التعبير الملهم عن كلمة الله المنبثة فى الكون ، وأسرار الجمال المضمرة فى الطبيعة ، ومعانى الخير الغامضة فى الحياة ،وأن فقده كان فقداً للوجدان الفنى فى الشعب الذى علمه كيف يتذوق الادب ويستسيغ الشعر وينضج عواطفه الجافة بفيض هذه القريحة النابغة الثرة ، فالاعوام تعقب الاعوام ، والذكرى تخلف الذكرى ، والاسى لايزال يرمض الجوانح لامتناع الصبر عليه وإعواز العوض منه ، فسيبقى شوقى كما وضعه القدر كمالا فى نقص كان ، وهيهات أن يصير نقصاً فى كمال سيكون ، وسيدور الفلك ويدور ، ويقصد النقص ويجور ، ويتطور الذوق ويسمو ، وشعر شوقى ثابت ما ثبت الحق ، خالد ماخلد القرآن ، مقروء مابقي العرب !

ذلك لان الطبيعة اختارته لرسالة الشعر بعد فترة مويسة من الرسل ، ثم آثرته بالنصيب الاوفى من الفكر والخيال والعاطفة ، وهن الملكات الثلاث التى ترفد القريحة وتمد الطبع ، وعلى تفاوتها فى القوة والضعف يتفاوت الفنان فى السبق والتخلف ، ثم زودته بالاذن الموسيقية والقريحة السخية والاداة الطيعة ، فشب عبقريا بالفطرة ، لا شأن للبيئة فى تنشئته ، ولا للمدرسة فى اعداده ، ولا للفرصة فى توجيهه ، وهل كان أثر البيئة وقفا عليه ، وتعليم المدرسة خاصا به ، ومواتاة الفرص امتيازاً له ؟ أنما كان مثله فى رسالة الشعر كمثل الانبياء فى رسالة الدين ، يختارهم الله من الضعفاء والفقراء والاميين ليكون جلاله عليهم أبهر ، ومعجزته فيهم أظهر ، وحجته منهم أبلغ

وشوقى رجل روحه أقوى من فنه ، وشعره أوسع من علمه ، وحكمته أمتن من خلقه ، وقدرته أكبر من استعداده ، فلا يشك قارئه فى أنه وسيط لروح خفية تقوده ، ورسول لقوة آلهية

تلهمه ، وما ا كتسب من القراءة والاسفار إلا إرهاق الذوق ، وتحصيل المادة ، وتوسيع الخبرة. والذوق فى الفن كالعقل فى العلم إنما يحصلان بالدرس والتجربة والسن ، والطبيعة تصنع صاحب العبقرية ، ولكنها تبدأ صاحب الذوق

الشاعر المطبوع رجل يتأثر خياله بقوة ، وينفعل قلبه بسرعه ، ثم يكون بين خياله وقلبه تجارب سريع مستمر ، له أذن مرهفة الحس تفطن للايقاع وتطرب للنغم ، وذوق سليم يعرف جمال الشعر ويعلم مواقع الكلم ، ونفس ترى المثل الروائع فتحمى وتتحمس ، ثم يدفعها السمو الفنى فيها إلي المنافسة الحرة والمعارضة النبيلة ، واذا تناول الفكرة الاساسية الاولية لموضوع ما ، لا يلبث أن يراها فى دخيلة نفسه تنمو وتتسع وتتركب وتتشعب وتتلون ، ثم تغدو ولوداً خصبة ، لاينفك شاعراً بالحاجة الملحة الى الانتاج الناشيء عن غزارة الفيض وحرارة العاطفة ، ثم يدرك ما بين المعاني المجردة والمواد المحسة من علاقة ، فيتخذ من هذه ألوانا لتلك ، بحيث تولد هذه الافكار فى الذهن مكسوة بهذه الصور ، تتمثل فى خاطره المواد من ذات نفسها على الوجه الانسب للتصوير والوضع الاجمل فى النظم ، فاذا كان الموضوع مؤثراً انثالت عليه العواطف معجلة تريد أن تظهر، مزدحمة تحاول أن تفيض

ذلك هو الشاعر المطبوع ، وذلك هو شوقى ، علمناه بالدرس ، وعرفناه بالصحبة ، فما انخزل يوماً فى تحليقه وإسفافه من مواقف العبقرية . ولئن كان في شعر شبابه مأسور الفكر ، محصور الخيال ، محدود النظر ، لايعبر إلا عن رأي القصر ، ولا يصور إلا بألوان البيئة ، لقد كانت هذه الحقبة الرسمية غيبة للشاعر عن نفسه ، وذهولا منه عن وجوده ، وقديما كانت صلات الشعراء بالملوك والخلفاء عاهة الشعر وآفة العبقرية ، فلما أعتقته الحرب من رق الوظيفة ، وأطلقته انجلترا بالنفى الي الاندلس ، تيقظ فيه الرسول الشاعر والحكيم المصلح ، فحلق بخياله فى كل جو وسطح بعقله فى كل أفق ، وشدا بالاسلام والعروبة المصرية شدوا ردده كل لسان واهتزله كل قلب ، ثم زاد فىالقيثارة العربية الاوتار الناقصة ، فأضاف الشعر القصصى والشعر التمثيلى الى شعرنا الغنائى ، فكان بذلك وحده الشاعر الكامل !

شوقى كله من صنع الطبيعة ، ولد منشدا كما ولد البلبل مغرداً ، فالحكم علي شعره بقوانين النقد الوضيعة ، وآراء الناقدين الشخصية ، لايضعه فى مكانه ، ولا يزنه بميزانه . اقرأه ثم راجع فيه نفسك ، واستشر في أثره حسك ، فاذا وجدت ذهنك يشتغل ، وشعورك يشتعل ، وروحك

تتصل بروحه ، وذوقك يرتاح لذوقه ، فثق أنك بأزاء شاعر علت مزاياه على النقد ، وسخرت مواهبه بالقيود .

ان شوقى سيظل على رغم الهتاف به مغموط الحق مادام الشعر العربى للخاصة ، لان الخواص أكثرهم لاينصفونه ، والعوام كلهم لايفهمونه ، فمتى زالت معرة الامية عن الامة العربية أصبح الشعره يومئذ شأن وأى شأن

مصطفى الرافعى يكتب

لمحمد سعيد العريان فى الرسالة

وهوحين يهم أن يكتب يختار موضوعه ، ثم يتركه للفكر يعمل فيه عمله وللواعية الباطنة أن تهيء له مادته ، ويدعه كذلك وقتا ما ، يطول أو يقصر ، يقيد فى أثنائه خواطره ، لاتكاد تفلت منه خاطرة ، وهو فى ذلك يستمد من كل شيء مادة وحى ، فكأن فى الموجود الذى يراه صوتا يسمعه ، وكأن لما يسمعه لونا يراه ، وكأن فى كل شيء شيئا زائدا على حقيقته ، يملى عليه معنى أو رأيا أو فكرة

فاذا اجتمع له من هذه الخواطر قدر كاف يأخذ فى ترتيبها معنى الى معنى ، وجملة الى جملة ، وهذه هى الخطوط من هيكل المقالة

ثم هو يعود الى هذه الخواطر المرتبة ، ينظر فيها ، ويزاوج بينها ، ويكشف عما وراءها من معان جديدة وفكر جديد ، ولايزال هكذا يزاوج ويستولد ، ويستنتج من كل معنى معنى ، وينفلق له عن كل رأى رأى ، حتى تستوي له المقالة فكرة تامة بعضها من بعض فيكتبها

ولاتراه حين يكتب أو يملى ينظر الي أصول المقالة بقدر ماينظر فى أعماق فكره الي مايتصل بمعنى مايكتب ، فقد يكون المملى منه صفحة أو صفحتين ، فيملى صفحات وصفحات

ومذهبه فى الكتابة إعطاء العربية اكبر قسط من المعاني ، فهو لايكتب الكتابة الصحافية السوقية ، لان الهدف الذى يرمي اليه هو أن يضيف ثروة جديدة الى اللغة .

انحراف فى النهضة الادبية

للاستاذ م . الشرقاوي فى البلاغ

جاءت الحرب العظمى وأعقبتها ثورتنا الوطنية فكان لهذه وتلك أثر مفيد طيب فى تدعيم النهضة الادبية وتثبيتها حتى نالت نصيبا من الحدة والجراءة التى شملت نفوسنا وأعمالنا وكل

مظاهر نشاطنا من هذه الثورة . ففى عقيب هذه الثورة كان نشاطنا الادبى وافيا ، وكان توجهنا فيه سديدا متفقا مع البداية التى هممنا بها وقامت على أساس الاحساس بالنقص والحاجة الى النقد الادبي وتقدير تراثنا الفكرى قدره الحقيقي وتمحيصه بالنقد السليم بعيدا عن قدسية الماضى وهيبة الاجيال ، وانبعث فينا ـ لذلك الحين ـ احساس آخر متفق مع نزعتنا الجديدة فى السياسة قائم على ضمير وطنى أدبي يدعو الى تمصير الادب أو ابتكار أدب مصرى يفصح عن نفوسنا المصرية ويشرح همومنا وآمالنا المصرية

وفى السنين التى أعقبت هذه الثورة كان نشاطنا الادبى وكان توجهنا فيه متفقا مع البداية التى بدأناها موصلا الي الغاية التى قصدناها وكان كتابنا وأدباؤنا يؤلفون ويكتبون فى الأدب العربي وعن الادبين الغربى والمصرى فى حرية واسعة تزيد عما كان عليه الحال قبل الحرب وفى بدء النهضة الحديثة للأدب ، ولعل القراء مازالون يذكرون ما وقع بين هؤلاء الكتاب وبين مخالفيهم وكان سببه هذه الحرية التى شملت أبحاث الكتاب والمفكرين بعد ثورتنا الوطنية وفى بدء الحياة النيابية

ولكن هذه الحركة التى قام بها هؤلاء المخالفون وكان قيامهم بها أول دلائل التوفيق لحياتنا الادبية وأول أمارة على أنها أخذت تثمر وتفيد فى تحريك الاذهان وتحرير الافهام . هذه الحركة كانت بداية البلبلة والانحراف للنهضة الادبية وبداية التراجع والانكماش لادبائنا حتي أصبح كل واحد منهم يتحصن فى بيت من الرضى والسكون كما تعيش السلحفاة فى بيتها من الحجر

ولم تكن هذه الحركة وحدها سببا فى هذه الردة الادبية والجبن والاستسلام للهزيمة . بل أكد هذا وثبة ما أعقبها من الاحداث السياسية والردة الشاملة لجميع حياتنا فى السياسة والوطنية والمال والعمل والتعليم

والآن بعد هذه السنين من الانتكاس فى نواحى نشاطنا وحياتنا جميعا نلتفت الى الحياة الادبية فنجدها انحرفت عن بدايتها وغايتها بل عادت الى حيث كانت مثار سخطنا وخجلنا حين نهضنا لها .

فاستنوقت الجمال من أدبائنا . واستنام منهم اليقظ وآثر الرضى والراحه على دعوة لايصيب منها وتصيب منه . فاذا أحصينا كتبنا عن العلم والأدب فى السنوات الأخيرة لانجد إلا شبيه ما كنا نجد قبل هذه النهضة ، الحديث المعاد عن الادب العربي وأبحاث النباشين عن ألفاظ القواميس والاخطاء الشائعة ، وتبرير الزيوف والتزاويق من الادب القديم ، واشاعة اللهو والعبث بأدب الخليين

ومما يلاحظ بالعجب أن بعضا من الذين كانوا عمدا من عمد النهضة الاولي لهذا الادب ، هم الآن ينساقون ويقودون الناس — أو ينساقون معهم — فى طريق هذا الانحراف ويتقدمون اليهم ببضاعة كانوا أول باخسيها ومظهرى زيفها وصغار شأنها وجدواها

ولذلك ترى الركود الذى يشمل حياتنا الادبية الحاضرة والانحراف الذى أصابها فى السنوات الاخيرة يحتاج احياء النشاط فيه وتسديد التوجه الى أن نجد جيلا جديدا من الكتاب لهم نقد جديد وتفكير جديد ، ولهم قبل ذلك عزم جديد

الرمز المبهم

للاستاذ حسن محمد حبشى في الحديث

ثوري وضجى فى الجوانح واصخبى ... ياشعلة الآلام والاهواء
وثبى على قلبى الفتى ورددى ... ما شئت من لحن ومن أصداء
وامضى مصفقة على جثمانه ... فى صامت الانوار والظلماء
وارمي به فى قاع جب مظلم ... متضرجا كالشعلة الحمراء
وتجرعى ما شئت أن تتجرعى ... من مدمعى ومشاعرى ودمائى
كيما أطهر من حياة كلها ... حقد وبغضاء على بغضاء
أنا فى الدنا قيثارة سحرية ... ألحانها فى مسمع الاحياء
والافق ردد للورى أصداءها ... فى عاصف الانات والانواء
والريح ... ياللريح فى آفاقها ... قد رجعت لحن المنى الصماء
والطير تهمس فى الغروب مروعة ... قد هالها الشفق الجريح النائى
كنت إلا نغمة أزلية ... غريدة الالحان والاصداء
يهفو لرنتها الوجود وينثنى ... نشوان فى سكر وفى اعياء
والشمس ترقب نورها متماوجا ... وسط السكون من الربى الشماء
باشعلة فى أضلعى صخابة ... كفى الصراخ وانصتى لغنائى
ما أنت إلا نسمة حيرانة ... تعلو جناح الطير فى الاجواء
وأراك فى عينى معنى مبهما ... يرنو الىّ ببسمة استهزاء
لم أدر كنهك فى الوجود نخلنى ... فى وحدتى وجهالتى وغبائى
وامضى الى غيرى وروى عنده ... ماشئت من ضحك ومن اهواء